كتاب الامام أبي نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي الذي
جمع فيه بين كتابي العلامة الشيخ أبي منصور
الثعالبي المسمى أحدهما باللطائف
والظرائف في الاضداد والآخر
باليواقيت في بعض
المواقيت عفا
الله عنهما
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال أبو نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي أسعده الله برضاته)

الحمد لله خير ما طلب به استفتاح الكلام واستنجاح المرام وصلى الله على سيد الأنام محمد وآله وأصحابه الطيبين الكرام (وبعد) فهذا الكتاب كان في نسختين متناسبتي الجمع متناسختي الوضع سمى الشيخ أبو منصور الثعالبي رحمه الله تعالى أحدهما كتاب الظرائف واللطائف والآخر كتاب اليواقيت في بعض المواقيت وأفرد لكل منهما صدرا أورد فيه لمن عمله باسمه ذكرا فجمعت بينهما في قرن وعطفت عنانيهما الى سنن اختصار الطريق الى فوائدهما وضم الشمل فرائدهما وعسى ان يحمد أثري فيما آثرت ويستظرف رأي رأيت فيه وأشرت والله تعالى يوزعنا من الاعتقاد أرصنه ومن العمل أحسنه ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فافتتح الظرائف واللطائف بقوله حمدا حمدا الخالق الخلق وباسط الرزق وصلواته على الصادع بالحق محمد رسوله الداعي الى الصدق

وشكرا

وشكر اشكر البحر المجدو بدر الأرض مولانا الأمير السيد الملك المؤيد العادل العالم أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه مولى أمير المؤمنين أدام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه فقد بسط باع العدل وأطال عنان الفضل وجلا صفحة الاحسان وفرش مهاد الأمن والأمان ونشر شعاع اليمن على أهل الايمان وأقام قناة الدين ومد رواق الملك المتين وفاق من في الارض بمكارم الاخلاق

وكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يجر والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

نعم وجدد رسوم العلم بعد أن نسجت عليها العنكبوت واحيا أنواع الآداب وقد كادت أن تموت فهو يحبها حب المحسن لمن أحسن اليه والغارس غرس يديه ويتوفر على استجلاب ما بعد من دررها واستثارة ما كمن من غررها ويحرص عليها حرص النفس على تنفس الهواء ويطلبها طلب طير الماء للماء ذاك لامتزاج الأدب بطبعه كامتزاج الشرف بنبعه والتحام الفضل بخلقه كالتحام الكرم بخلقه وكونه من السودد في سواد عينه وسويداء قلبه فعين الله عليه من كل طرف عائن وقلب خائن وأدام الله جمال العالم بطول عمره وثبات ملكه ونفاذ أمره وانتظام سلكه ولا أخلاه من علو الراية وادراك الغاية واعزاز الأولياء واذلال الأعداء ولقاء النجح بين مطارح آرائه ومصارف أقلامه والصنع في مضارب سيوفه ومناقب أعلامه وهذا دعاء لو سكت كفيته * لاني سألت الله فيك وقد فعل

(ثم ان هذا الكتاب) دلني على ما استسعدت به من الخدمة واستشعرته من شكر لنعمة على ابتداء وضعه وابتداع جمعه واختراع ما لم أسبق الى مثله ولم أشارك في ارتباط شكله فألفته بالاسم العالي عنة الله في مدح كل شيء وذمه وتزيينه وتهجينه وسياقه أحسن ما أحاضر به فيه وفي ضده «وترجمته بالظرائف واللطائف في الأضداد» وافتتح اليواقيت في بعض المواقيت بخطبة هذه نسختها الحمد لله ما أمكن الحمد الى أن يقطع العد وصلواته على خير من أرسل بخير ما أنزل سيدنا محمد المصطفى وآله وأصحابه الذين ارتضى (هذا) أطال الله بقاء الامير الأجل كتاب مترجم باليواقيت في بعض المواقيت في مدح كل شيء وذمه ولم أسبق الى جمعه وابتداع وضعه وشاهدي على دعواي ان خزانة كتبه عمرها الله بدوام عمره ونظام أمره وهي أم الفقر والغرر ومعدن الملح والطرف وقانون التحف والنكت خالية

من مثله في فنه وان العبد أبانصر سهل بن المرزبان وهو حليف الكتب والبفها وابن بجدتها وأخو جملتها وأبو عذرتها لم تقع عينه على شبهه وطال ما اقترح على الزمان أن يتفق لأحد تأليفه ويتقدم له تبويبه وترتيبه فافتتحته بنيسابور وتطرقته بجرجان وتنصفته بالجرجانية واستتممته بغزنة اذ كان مذخور العالي مجلسه ومقصورا على خزانة مجده ولم يعن عليه الا علو همته ويمن دولته واذا كان مولانا أوحد السادات وهم آحاد الدنيا وفرد الملوك وهم أفراد العليا فينبغي أن يكون الكتاب الذي يخدم به من وسائط عقود الادب وأنامي عيون الكتب ولئن أحياني الله تعالى على يده ورزقني المثول بحضرة عزه وكعبة سودده لانفقن باقي عمري على خدمته وأغرب وأبدع تأليفاتي باسمه وسمته لازال مولانا للمحاسن كالينبوع للماء والزند للنار وأدام الله ملكه وأعز نصره وزاد علو أمره وأراه من أشباله وأهليته ليوثا وبدورا يستقلون بأعباء المملكة ويصلون جناحه في حماية الحوزة ويرحم الله عبدا قال آمينا * وهذا الكتاب مشتمل على مائة واثنين وستين بابا

﴿باب مدح الدنيا﴾

في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها (وذكر) أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الدنيا فقال هي دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها وهي مسجد أحباء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها وشوقت بسرورها الفاني الى السرور الباقي وحذرت ببلائها الماضي البلاء الغابر التالي ترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام المغتر بتغريرها المخدوع لا باطيلها حتى غرتك أبمصارع آبائك للبلا أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى فهذا أحسن ما روي في مدحها (وقال) ابن المعتز في رسالة له الدنيا دار التأديب والتعريف ومضمار التهذيب والتثقيف التي بمكروهها يوصل الى محبوب الآخرة وميدان الاعمال السابقة بأصحابها الى الجنان ودرجة الفوز التي يرقى فيها المتقرب الى دار الخلد والرضوان وهي الواعظة لمن عقل والناصحة لمن قبل وبساط المهل ورباط العمل وقاصمة الجبارين وملحقة الرغم بمعاطس المتكبرين وكاسية التراب أبدان المختالين وصارعة المغترين ومصرعة المعتزين ومفرقة أموال الباخلين

وقاتلة القتالين والعادلة بالموت على العادلين ومهبط القرآن المبين ومسجد العابدين وأم النبيين وناصرة المؤمنين ومبيدة الكافرين والحسنات فيها مضاعفة والسيآت بآلامها محوة ومع عسرها يسران والله تعالى ضمن أرزاق أهلها واقسم في كتابه بمعافيها ورب طيبة من نعيمها قد حمد الله تعالى عليها فتلقتها أيدي الكتبة ووجبت بها الجنة ورب مال من زينتها وجه الى معروفها فكان جوازا على الصراط وكم نائبة من نوائبها وحادثة من حوادثها قد راضت الفهم ونبهت الفطنة وأذكت القريحة وأفادت فضيلة الصبر وكثرت ذخائر الاجر (وقيل) لعلى رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ألا ترى حرص الناس على الدنيا فقال هم أبناؤها فأخذ هذا المعنى محمد بن وهيب الحميرى وقال

نراع لذكر الموت ساعة ذكره * ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب
وقد ضمت الدنيا الى صروفها * وخاطبني اعجامها وهو معرب
ولكننا منها خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شئ محبب

(وقال أبو العتاهية)

ما أحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار اقبالها

(وقال محمود الوراق)

هي الدنيا وزخرفها * ولكن ما مصائرها * لئن غرت منابرها
فقد وعظت مقابرها * وان غشت مواردها * فقد نصحت مصادرها

(قال) وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي لبعضهم

تذم دنيا ان تأملتها * وجدت منها ثمن الجنه

(وقال) عبد الملك بن صالح ما جمعت الدنيا باظرف من النبيذ فنظمه أبو محمد بن مطران الشاشي

أهلا بدنياك معشوقة * يقذيها كل عيش لذيذ
ولكنها قط ما جمعت * من المشتهيات بمثل النبيذ

(وقلت) في كتاب المبهج الدنيا معشوقة ريقها الراح

(باب ذم الدنيا)

(قال) بعض الحكماء لدنيا غدارة غرارة ان بقيت لها لم تبق لك (وقال) آخر واجد الدنيا سكران وفاقدها حيران (وقال آخر) أف من أشغال الدنيا اذا أقبلت

ومن حسراتها اذا أدبرت وقال آخر ان الدنيا ليست تعطيك لتسرك ولكن لتغمك وتغرك (وقال آخر) الدنيا أشبه شيء بظل الغمام وحلم النيام (وقال الحسن) حلالها حساب وحرامها عقاب وقال يحيى بن معاذ الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها سكر فلم يفق الا في عسكر الموتى نادما خاسرا وقال أيضا الدنيا جارية زانية ولو كانت عفيفة لم يقربها أحد وقال عبادة الدنيا لحقبة فيوما عند عطار ويوما عند بيطار (وقال) ابن السماك الدنيا كالعروس المجلوة تشرفت لخطابها وفتنت بغرورها فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والابدان لها عاشقة وهي لازواجها قاتلة (وقال) ابن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام (وقال آخر) خير الدنيا حسرة وشرها ندم وقال آخر مصائب الدنيا أكثر من نبات الارض (وقال) المأمون لو نطقت الدنيا ما وصفت نفسها بأحسن من قول أبي نواس

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا اللبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وقد ألم به ابن بسام بقوله)

أف للدنيا وأيامها * فانها للحزن مخلوقة * غمومها لا تنقضي ساعة
عن ملك فيها ولا سوقه * يا عجبا منها ومن شأنها * عدوة للناس معشوقه

(ومن الامثال السائرة فيها قول مسلم بن الوليد الانصاري)

دلت على عيبها الدنيا وصدقها * ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

(وقول ابن الرومي)

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه فيها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وقال المتنبي

أبدا تسترد ما تهب الدنيا * فيا ليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا
شيم الغانيات فيها فلا أدري لذا أنث اسمها الناس أم لا

(وقال آخر)

أف للدنيا الدنيه * خبثت فعلا ونيه
عيشها بؤس وهم * وفي عقباها المنيه

(وقلت من قصيدة)

تسل

تسل عن الدنيا ولا تخطبنها * ولا تنكحن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها ان ما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصار اه ذعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يعجب الناس حسنه * ولكن له أسرار سوء قبائح
(وقال آخر) هي الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم طول ابتسامي * فقولي مضحك والفعل مبكي
(وقلت) في الكتاب المبهج نسيم الدنيا يقصر عن سمومها وأغذيتها لا تفي بسمومها وفيه ساكن الدنيا راحل وانفاسه رواحل وأيامه مراحل وفيه الدنيا عروس تغتال الاخدان وتختان الاختان وفيه أمر الدنيا أمر وتحت بشرها غمر وفيه اقبال الدنيا كالماء تضيف أو سحابة صيف أو زيارة طيف (وفيه) هبات الدنيا منغصة باحداثها وقصورها مبغضة باجداثها (وفيه) صاحب الدنيا بين العسل والصاب والصحة والاوصاب (وفيه) المرء من دنياه بين أماني ممدوده وعواري مردوده

﴿باب مدح الدهر﴾

(قال) بعض الحكماء الدهر أنصح المؤدبين وقال آخر قد وعظنا الدهر لو اتعظنا ونصحنا لو انتصحنا (قال الشاعر)

عمري لقد نصح الزمان وصرفه * ومن العجائب ناصح لا يشفق

(وقال) العتابي من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار (وقال بشار)

ان دهرا يضم شملي بسلمى * لزمان قد هم بالاحسان

(وقال البحتري) هل الدهر الا غمرة وانجلاؤها * وشيكا والا ضيقة وانفراجها
(وقال الاخطل) وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر
(وقال آخر) يقولون الزمان به فساد * لقد فسدوا وما فسد الزمان

(وأنشدني العباسي المأموني لبعضهم)

تذم دهرك جهلا في تصرفه * لا تشك دهرك ان الدهر مأمور
ماذنب دهرك والاقدار غالبة * وكل أمر اذا وفاك مقدور
فاصبر على حدثان الدهر وارض به * ما دام في الدهر مهموم ومسرور

وأنشدني أبو القاسم حبيب المذكر لغيره

رضا بالدهر كيف جرى وصبرا * ففي أيامه جمع وعبد
ولم يخشن عليك قضيب عود * من الايام الا لان عود

﴿ولابى الفتح بن العميد﴾

أين لى من يفى بشكر الليالى * حين ضاقت خيالها بخيالى
لم يكن لى على الزمان اقتراح * غير هامنية تخادبهالى

(وللوزير المهلبي) رق الزمان لفاقتى * ورثى لطول تحرقى
وأنالنى ماأرتجى * وأفاتنى ماأتقى
فلأصفحن عما جنا * همن الذنوب السبق
حتى جناتيه عما * فعل المشيب بمفرقى

﴿باب ذم الدهر﴾

(قال) بعض الحكماء أف للدهر ما أكدر صافيه وأخيب راجيه واعدى أيامه ولياليه (وقال آخر) من له يدان بغوائل الزمان (وقيل) يسار الدهر فى الاخذ أسرع من يمينه فى البذل لا يعطى بهذه الا ارتجع بتلك (وقال آخر) الدهر لا يؤمن يومه ويخاف غده ويرضع ثديه وتجرح يده * وقيل الدهر يغر ويضر ويسوء من حيث يسر * وقال آخر الدهر لا تنتهى فيه المواهب حتى تحللها المصائب ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب (وفى فصل لابن المعتز) هذا زمان متلون الاخلاق متداعى البنيان موقظ الشر منيم الخير مطلق أعنة الظلم حابس روح العدل قريب الاخذ من الاعطاء والكآبة من البهجة والقطوب من البشر من الثمرة بعيد المجتنى قابض على النفوس بكربته منيخ على الاجسام بوحشته لا ينطق الا بالشكوى ولا يسكت الا على غصص وبلوى (ومثله فصل للصاحب) الزمان حديد لظفر لئيم الظفر حلو المورد مر المصدر أثره عند المرء كاثر السيف فى الضريبة والليث فى الفريسة (ولشمس المعالى قابوس بن وشمكير) الدهر شركله مفصله ومجمله ان أضحك ساعة أبكى سنة وان أتى بسيئة جعلها سنة ومن أراد منه غير مذاسيره أراد من الاعمى عينا بصيره ومن ابتغى منه الرعايه ابتغى من الغول الهدايه (ومن) أحسن ماقيل فى ذمه قول ابن المعتز وهو الامام فى ذلك

ألست ترى ياصاح ما أعجب الدهرا * فذماله لكن للخالق الشكرا

لقد حبب الموت البقاء الذي أرى * فيا حسدا مني لمن يسكن القبرا

وله يا دهر ويحك قد أكثرت فجعاتي * شغلت أيام دهري بالمصيبات
ملأت ألحاظ عيني كلها حزنا * فأين لهوي وأحبابي ولذاتي
حمدا لربي وذما للزمان فما * أقل في هذه الدنيا مسراتي

وله يا صاحبي ان الزما * ن كما علمت وما علمته * يفني الذي جمعته
بيدي ويحصد ما زرعته * ويخون من صافيته * عمدا ويعشق من مقته
وجهلته فحمدته * وذممته لما عرفته
ولطالما عاتبته * حتى على رغمي تركته

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

(وقال بعضهم)

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد الدهر لا بد من بلى * وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

(وقال البستي)

صبرا على الدهر الخؤن وريبه * يا نفس كيلا تبتلي بكلابه
واذا صبرت على اساءة ظالم * لا تندمي فثوابه بلّابه

(ومن قلائد ابن الرومي في هذا المعنى)

دهر على قدر الوضيع به * وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتعلو فوقه جيفه

(وأنشدني أبو بكر الطبري)

الدهر يستخدم من يخدم * حتى يذيق الهون من يكرم
كالارض لا تطعم من فوقها * الا لكي تطعم من تطعم

ولغيره يا محنة الدهر كفي * ان لم تكفي فخفي * ما آن يكن ترحمينا
من طول هذا التشفي * ذهبت أطلب بختي * فقيل لي قد توفي
ثور ينال الثريا * وعالم متخفي

(ولابي محمد المروزي)

تقاضاك دهرك ما أسلفا * وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرن فان الزمان * جدير بتشتيت ما ألفا

(ولابي جعفر الموسوي)

أي خير ترجو بنو الدهر في الدهر وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الاخلا * ومن مات فالمصيبة فيه

(وقلت) أقول والقلب مكدود بأحزان * والصبر أبعد ما بين أجفاني
حتى متى أنا يدمي العض أغلتي * غيظا على زمن قد رام ازماني
فكل يوم أراني من نوائبه * كأنني أصبع والدهر أسناني

(وقلت أيضا) كم الى كم تبرمي بحياتي * أتلوى تلوي الحيات
تحت عبء من الزمان ثقيل * وخطوب قوسن مني قناتي

(ولابن لنكك البصري)

يا زمانا ألبس الاحرار ذلا ومهانه * لست عندي بزمان
انما أنت زمانه * كيف أرجو منك خيرا * والعلى فيك مهانه
أجنون ما أراه * منك يبدو أم مجانه

(ولقابوس بن وشمكير)

قل للذي بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر

(وقال آخر) يا دهر ويحك ما ذا الغلط * وضيع علا وشريف هبط
حمار يرتع في روضة * وطرف بلا علف يرتبط

(باب مدح السلطان)

(قد قرن) الله طاعته وطاعة النبي بطاعة السلطان حيث قال جل ذكره أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في أرضه يأوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن (وقال) الفضيل بن عياض رحمه الله لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها

للسلطان

للسلطان قيل ولم تقدمه على نفسك قال ان دعوتى لنفسى لا تنفع غيرى فاذا كانت له انتعش البلاد والعباد بعدله وصلاحه (وقال) عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لا بد للانام من وزعة وقيل للحسن ما تقول فى السلطان فقال ما عسيت أن أقول فى قوم يلون من أمورنا خمسة الجمعة والجماعة والثغور والحدود والفىء والله ما يستقيم الدين الا بهم وان جاروا وظلموا ولما يصلح الله بهم أكثر مما يفسد (وقال) الجاحظ لولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا كما انه لولا الراعى لأتت السباع على الماشية (ومن الامثال) جاور ملكا أو بحرا وفى فصول ابن المقفع فساد الرعية بلا سلطان كفساد الجسم بلا روح وفى بعض كتب العجم ان الملك العادل كالشمس فى الشتاء والقمر فى الخريف والرخاء فى جميع الازمنة وهو فى الاصحاب كالرأس فى الجسد وفى الاولياء كماء الغسل وفى الحرب كالحريق المشتعل (وقيل) مثل الاسلام والسلطان والاعوان والرعية كالفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد لا يقوم بعض ذلك الا ببعض وقال ابن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى وذكر ابن المقفع فى يتيمته السلطان وما للناس فيه من كثرة المنافع وقلة المضار كالشمس فى النهار وشبه ما يصل الى أكثر الناس من عدله وفضله مع ما يمس بعضهم من الظلم بالغيث الذى يغيث البلاد وينعش العباد ويعم الاودية ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق والرياح التى هى روح النفوس ولقاح الثمار وبها تسير سحائب الجو وسفائن البحر وقد تضر بكثير من الناس وتتعدى الى أموالهم ونفوسهم وبالشتاء والصيف اللذين بتعاقبهما صلاح الحرث والنسل وحياة الحيوان والنبات وقد يكون الضر والاذى فى البرد اذا لذع والحر اذا سفع وبالليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وقد تعدو فيه هوام الارض وسباعها ويستوحش به الوحيد وذو العلة والمسافر فى القفر وبالنهار الذى جعله الله ضياء ونشورا ومعاشا وقد تصبح فيه الغارات والوقائع ويكون فى ظهائره النصب واللغوب وليس ما يصل الى الآحاد والشواذ من مكروه الامور العامة النفع مزيلا لها عن طريق الحمد وكذلك المضار اذا اتفقت بأن تنفعن نفعا القليل من الناس مع اجحافها بالكثير لم تزل عن طريق الذم

(باب ذم السلطان)

(قال) بعض الحكماء اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويأخذ أخذ السبع ومن الامثال الملك عقيم أى لا أرحام بين الملوك وبين أحد وفيهما من ملك الا استأثر

وقال المأمون ان فينا معشر الملوك حسدا واستئثارا ومحكا ولجاجا وكان أبو على الصغانى يقول من والانا أخذنا ماله ومن عادانا أخذنا رأسه (وفى كتاب كليلة ودمنة) من سكر السلطان أنه يرضى عمن استوجب السخط ويسخط على من استوجب الرضا من غير سبب معلوم وكذلك قالت العلماء خاطر من ولج فى البحر وأشد مخاطرة منه خادم السلطان وقيل أسرع الاشياء تقلبا قلوب الملوك ويقال اذا تغير السلطان تغير الزمان وقيل سكر السلطان أشد من سكر الخمر ويقال اعتزل السلطان بجهدك فان من خدمه بحقه وشرطه حال بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يوف خدمته حقها خسر الدنيا والآخرة * وكان الفضل بن مروان يقول ما رأيت أقرب رضا من سخط ولا أسرع ما بين قرب رضا وسخط من الملوك ويقال ثلاثة لا أمان لهم البحر والزمان والسلطان وكان حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه يقول اياكم ومواقف الفتن يعنى أبواب السلاطين (وقال) ملك لبعضهم لم لا تأتينا قال ما أصنع باتيانك وانك ان أدنيتنى فتنتنى وان أبعدتنى أحزنتنى (ويقال) ثلاثة لا ينبغى للعاقل أن يغتر بهن المال والصحة والمنزلة من السلطان (وقال) البديع ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم أذلوك وكان الضحاك بن مزاحم يقول انى لأسهر عامة ليلى مفكرا ألتمس كلمة أرضى بها سلطانى ولا أسخط ربى فلا أجدها

* باب مدح عمل السلطان *

(كان) معاوية رضى الله عنه يقول نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وعوتب بعض الحكماء على خطبته عمل السلطان فقال لقد خطبه وطلبه الصديق بن اسرائيل بن الذبيح بن الخليل عليهم الصلاة والسلام حيث قال للملك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (وفى كتاب كليلة ودمنة) مثل السلطان فى اقباله على الاقرب فالاقرب منه دون الأفضل فالافضل مثل الكرم الذى لا يتعلق بأبعد الشجر بل بأقربها منه * ومن أمثال هذا الباب قول زياد فى رجل ولى تحصيب جامع البصرة آثر الامارة ولو على الحجارة * ومن أمثال العجم من تبع الاسود لم يحرم لذيذ الصيد (ومن أمثال بغداد) غبار العمل خير من زعفران التعطيل وكان يونس النحوى يقول الولاية وكل مدح والعزل وكل ذم والشيب وكل عيب ويقال أربعة لا يستحيا من خدمتهم السلطان والوالد والضيف والاستاذ وكان أحمد بن اسرائيل يقول أربعة لا يقيمها الاعمل السلطان اتصال الدعوات واتخاذ القينات والابنية والتمتع

بالسراري الثمينة (ويقال) من خدم السلطان فهو خادم من جهة ومالك من أخرى ومن خدم الرعية فهو خادم من كل جهة (ويقال) من خدم السلطان خدمه الاخوان والجيران وقيل أربعة لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والسلطان

﴿باب ذم عمل السلطان﴾

(من) أمثال العامة صاحب السلطان كراكب الاسد يهابه الناس وهو من مركبه أهيب وقيل من تحسى مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين وقيل من أكل من مال السلطان زبيبة أداها تمرة (وفي كتاب كليلة ودمنة) مثل السلطان كالجبل الصعب المرتقى الذي فيه كل ثمرة طيبة وكل سبع حطوم فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد (وكان) ابراهيم بن العباس يقول أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى الردى أبعدهم في المرقى ويقال أدوم التعب خدمة السلطان وقيل من أراد العز بالسلطان لم ينله حتى يذل ومن فصول ابن المعتز أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الاشياء الى النار اشدا احترقا وقال أيضا من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة ويقال لا تتشبث بالسلطان في وقت اضطراب الامور عليه فان البحر لا يكاد يسلم منه راكبه في حال سكونه فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه وقيل لا يدرك الغنى بالسلطان الا بكل نفس خائفة وجسم تعب ودين منثلم (وقد نظمه أبو الفتح البستي فقال)

يا من يرى خدمة السلطان عدته * ما أرش كدك الا الكد والندم
دع الملوك فخير من وجودك ما * ترجوه عندهم الحرمات والعدم
اني ارى صاحب السلطان في ظلم * ما مثلهن اذا قاس الفتى ظلم
فجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه عرضة والدين منثلم

(وله أيضا)

صاحب السلطان لا بد له * من هموم تعتريه وغمم
والذي يركب بحرا سيرى * قحم الاهوال من بعد قحم

﴿ولصاحب في معناه﴾

اذا أدناك سلطان فزده * من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان الا البحر عظما * وقرب البحر محذور العواقب

(ويقال) الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام وقال بعض الزهاد تباعد من السلطان ولا تأمن خدع الشيطان ويقال العزل طلاق الرجال وقال ابن المعتز

سكر الولاية طيب * وخماره ذل شديد
كم تائه بولاية * وبعزله ركض البريد

(وكان) ابن أبي البغل يقول لا تعدن مال المتصرف مالا فانه يغدو غنيا ويروح فقيرا وفي فصل للصابي تهنئة بالعزل ليهن مولاي خفة الظهر ودعة الصدر بالتفصي عن العمل الذي هو مع هذه العواقب الوخيمة والرسوم الذميمة بمنزلة الحبائل المبثوثة والاشراك المنصوبة

﴿باب مدح الوزارة﴾

الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهي تلو الامارة والدرجة العليا والرتبة الكبرى في الرياسة والسيادة (وللمنصور النميري) في يحيي بن خالد البرمكي

ولو علمت فوق الوزارة رتبة * تنال بمجد في الحياة لنالها

والانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف العظماء والملوك وقد نطق القرآن بوزارة هرون لموسى عليهما الصلاة والسلام حيث قال جل وعز حكاية عن دعاء موسى واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري ثم قال في نظام الآية قد أوتيت سؤلك ياموسى فدل على أنه جعله وزيره صاحب أمره وشريكه وأفصح عن حسن أثر موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة اليها (وكان) آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام وكان سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لي وزيران من أهل الارض ووزيران من أهل السماء فاما اللذان في الارض فابو بكر وعمر وأما اللذان في السماء فجبريل وميكائيل عليهما السلام وقال عليه الصلاة والسلام اذا أراد الله بملك خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا أعانه أو أراد شرا كفه (وقيل) لا تغتر بكرامة الامير اذا غشك الوزير والى هذا أشار ابن العميد وزاد فيه حيث قال لصديق له من العلوية وكان مختصا بأميره ركن الدولة

وزعمت انك لست تفكر بعدما * علقت يداك بذمة الامراء
هيهات لم تصدقك فكرتك التي * قد أوهمتك غنى عن الوزراء
لم تغن عن أحد سماء لم تجد * أرضا ولا أرض بغير سماء

والذي يحكم بشرف الوزراء ومكانتهم ومشاركتهم الملوك في الامور وتصريف أعنة التدابير ما في المزدوجة المعروفة بذات الحلل قصيدة ابن المعتز

اذا اطلبت نائل الامير * فالطف له من قبل الوزير

وكان أنوشروان يقول لا يستغني أعلم السلاطين عن الوزير ولا أجود السيوف عن الصقال ولا أفره الدواب عن السوط ولا أعقل النساء عن الزوج وما أحسن قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك وزير المعتصم والواثق بعده

أبا جعفر ان الخليفة ان يكن * لواردنا بحرا فانك ساحل
تقطعت الاسباب ان يغرلها * قوى أو يصلها من يمينك واصل

(وقال آخر)

لأمير المؤمنين المرتجى * بحر جود ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده * مشرع منه الى البحر يرد

وكان الصاحب يقول مدحت بمائة ألف بيت ليس أحب الي من قول أبي سعيد الرستمي حيث قال

ورث الوزارة كابرا عن كابر * موصوله الاسناد بالاسناد
يروى عن العباس عباد وزا * رته واسماعيل عن عباد

باب ذم الوزارة

كان أحمد بن اسرائيل يذم الوزارة ويستكثرمنه فلما خطبها وتقلدها قيل له ألم تكن تذمها قال بلى ولكنها مركب بهي شريف شهي لا تطيب النفوس بتركه على ما فيه من عظيم الخطر (وقال) المأمون لأحمد بن خالد هل لك في أن أستوزرك قال دعني يا أمير المؤمنين يكون بيني وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فلست أريد بلوغ الغاية لئلا يقول عدوي قد بلغها وليس الا الانحطاط وقد قال الشاعر

ان الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا

وكان ابراهيم بن المدبر اذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابي

تلوم على ترك الغنى باهلية * نفى الدهر عنها كل طرف وتالد
ترى حولها النسوان يرفلن كالدمى * مقلدة أعناقها بالقلائد
فقلت لها لما رأيت دموعها * تحدرن فوق الخد مثل الفرائد
أسرك اني نلت ما نال جعفر * من المال أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعضني * معضهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجئني ميتتي مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان عليات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود

(وقال) بعض الحكماء أكثر الناس حاسدا وعدوا ومنابذا وزير السلطان وكان في

كتاب مروان أخوف ما تكون الوزراء عند سكون الدهماء (وقيل) مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافى العذب النهر الذى فيه التماسيح لا يستطيع الانسان وروده وان كان عائما والى الماء ظامئا (وللبستى فى معناه)

حرضونى على وزارة بست * ورأوها من أعظم الدرجات
قلت لا أشتهى وزارة بست * انني لم أمل بعد حياتى

(وله) أكتاب بست كم تفاخركم على * وزارة بست وهى قاصمة الظهر
وزارة بست كالبهاء اذا سرى * ومدتها منذ الغداة الى الظهر
فلا تغبطنهم انها اضرة النهى * وبغيتها روح البعوضة فى المهر

(وله) وزارة الحضرة الكبيره * خطيئة بل هى الكبيره
فلا تردها ولا تردها * فانها محنة مبيره

﴿باب مدح العقل﴾

(قال) الله تعالى فى شأن تعظيم العقل ان فى خلق السموات والارض الى قوله لآيات لقوم يعقلون وقال جل ذكره فاتقون يا أولى الالباب وقال عز اسمه ان فى ذلك لعبرة لأولى الالباب (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم الناس يعملون الخيرات وانهم يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم (وقيل) له عليه الصلاة والسلام فى الرجل الحسن العقل الكثير الذنوب فقال ما من آدمى الا وله خطايا وذنوب فمن كانت سجيته العقل لم تضره ذنوبه لانه كلما أخطأ لم يلبث ان يتدارك ذلك بتوبة تمحو ذنوبه وتدخله الجنة وقال سعيد بن المسيب فى قوله عز وجل وأشهدوا ذوى عدل منكم يعنى ذوى عقل وقال مجاهد فى قوله تعالى جده ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقال الضحاك فى قوله جل ثناؤه لينذر من كان حيا أى عاقلا وقال الحسن العقل هو الذى يهدى الى الجنة ويحمى عن النار لقوله عز وجل حكاية عن أهل النار وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وقال حكيم لا مال أعوز من العقل وقيل العقل أشرف الاحساب وما عبد الله بمثل العقل وقال آخر العقل أحصن معقل وقال آخر أشد الفاقة عدم العقل وقال آخر كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا (ومن فصول ابن المعتز) العقل غريزة تربيها التجارب (ومنها) حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن (ومنها) ليست الصورة الانسان انما الانسان العقل (ومنها) ما أبين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل ان لم يصدأها الهوى

(ومنها)

(ومنها) العقل صفاء النفس والجهل كدرها وقال الشاعر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن في قومه بحسيب
اذا حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل في بلدة بغريب

وفي كتاب رهن العيون في الجد والمجون في مدح العقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب ثم قال لو أن رجلا قاتل في سبيل الله وحج واعتمر وغزا لما دخل الجنة الا بمقدار عقله وقال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه العقل قرة عين والجهل رائد حين وقيل رغبة العاقل فيما يكفيه وهم الجاهل فيما لا يعنيه وقيل من اتعظ بأبلغ العظات نظر الى محلة الاموات ومصارع الآباء والامهات وقلت فكرته في الشهوات

﴿باب ذم العقل﴾

(كان) يقال العقل والهم لا يفترقان (وقال ابن المعتز)

وحلاوة الدنيا لجاهلها * ومرارة الدنيا لمن عقلا

ومن قصار فصول ابن المعتز العاقل لا يدعه ما ستر الله من عيوبه يفرح بما أظهره الله من محاسنه (وله فصل يليق بهذا الباب في نهاية الحسن) العقل كالمرآة المجلوة يرى صاحبه فيها مساوي نفسه فلا يزال في غموم وهموم ومامتعذر السرور فاذا شرب صدئ عقله بمقدار ما شرب فان أكثر منه غشيه الصدأ كله حتى لا تظهر له صورة تلك المساوي فيفرح ويمرح والجهل كالمرآة الصدئة أبدا فلا يرى صاحبه الا مسرورا أبدا نشطا قبل الشرب وبعده (ومن هذا المتنبي قوله)

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

قال أبو الفتح بن جني هذا كقولهم ما سر عاقل قط (ولما) عزل عمر بن الخطاب زيادا عن عمل كان يتولاه قال له زياد يا أمير المؤمنين أمن عجز أو خيانة فقال لا من أحدهما ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك وكان الحسن البصري رحمه الله يقول لو كان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا وقال آخر لولا الحمقى لبطل العالم وقال بعضهم لو كان الناس كلهم عقلاء ما أكلنا رطبا ولا شربنا عذبا يعني أن العقلاء لا يقدمون على صعود النخيل لاجتناء الرطب ولا على حفر الآبار لاستنباط الماء البارد العذب وينشد

لما رأيت الدهر دهر الجاهل * ولم أر المغبون غير العاقل

شربت خمرا من خمور بابل * فصرت من عقلي على مراحل

(باب مدح العلوم)

قد مدح أبو عثمان الجاحظ أنواع العلوم وذهابا بأعيانها معربا عن قدرته على الكلام وبعد شأوه في البلاغة وحين سئل عن الأثر فقال هو أخبار الماضين وأنباء الغابرين وقصص المرسلين وآداب الدنيا والدين ومعرفة الفرض والنافلة والشريعة والسنة والمصلحة والمفسدة والنار والجنة الى صاحبه تشد الرحال وحوله يعتكف الرجال ويسير به ذكره في البلدان ويبقى اسمه على ممر الزمان (قيل فالفقه) قال فيه علم الحلال والحرام وبه تعرف شرائع الاسلام وتمام الحدود والاحكام وهو عصمة في الدنيا وزينة في الأخرى يخطب لصاحبه فضل الاعمال ويخلع عليه ثوب الجمال ويلبسه الغنى ويبلغه مرتبة القضا (قيل فالكلام) قال عيار كل صناعة وزمام كل عبارة وقسطاس يعرف به الفضل والرجحان وميزان يعلم به الزيادة والنقصان ومحك يتميز به الخاص والعام والخالص والمشوب ويعرف به الابريز والستوق وينظر به الصفو والكدر وسلم يرتقى به الى معرفة الصغير والكبير ويوصل به الى الحقير والخطير وأدلة للتفصيل والتحصيل وادراك الدقيق والجليل وآلة لاظهار الغامض المشتبه وأداة لكشف الخفي الملتبس وبه تعرف ربوبية الرب وحجة الرسل ويحترز به من شبهات المقالات وفساد التأويلات وبه تدفع مضلات الاهواء والنحل وتبطل تأويلات الاديان والملل وينزه عن غباوة التقليد وغمة الترديد (قيل فالفلسفة) قال أداة الضمائر وآلة الخواطر ونتائج العقل وأدلة لمعرفة الاجناس والعناصر وعلم الاعراض والجواهر وعلل الأشخاص والصور واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز (قيل فالنجوم) قال معرفة الأهلة ومقادير الاظلة وسموت البلدان وأقدام الزوال في كل وقت وزمان وعلم ساعات الليل والنهار في الزيادة والنقصان وأمارات الغيوث والامطار وأوقات سلامة الزرع والثمار (قيل فالطب) قال سائس الابدان والمنبه على طبائع الحيوان وبه يكون حفظ الصحة ومرمة العلة والوقوف على المنافع والمضار والابانة عن خبايا الاسرار وعلم يضطر اليه الخاص والعام ويفتقر اليه الناس والانعام ولا يستغني عنه الصغير والكبير ويحتاج اليه الحقير والخطير (قيل فالنحو) قال يبسط من

العى اللسان ويجرى من الحصر البيان وبه يسلم من هجنة اللحن وتحريف القول وهو آلة لصواب المنطق وتسديد كلام العرب (قيل فالحساب) قال علم طبيعى لاخلاف عليه واضطرارى لامطعن فيه ثابت الدلالة صائب المقالة واضح البرهان شديد البنيان سالم من المناقضة خال من المعارضة حاكم يقطع الخلاف مؤد الى الانصاف والانتصاف وبه حفظ الاعمال ونظام الاموال وقوام أمور الملوك والتجار وثبات قوانين البلاد والامصار (قيل فالعروض) قال ميزان الشعر وعيار النظم ورائض الطبع وسائس الفهم وبه يعرف الصحيح من المريض وفلك عليه مدار القريض (قيل فالتعبير) قال علم نبوى وسفير الهى واشارة سماوية وعبارة غيبية وبشير ونذير يخبر عن الاشياء الغائبة والحاضرة وينبئ عن أمور الدنيا والآخرة (قيل فالخط) قال لسان اليد وبهجة الضمير ووحى الفكر وناقل الخبر وحافظ الأثر وعمدة الدين والدنيا ولقاح اللفظ والمعنى (قال مؤلف الكتاب) فهذا آخر ما حكى عن الجاحظ فى مدح العلوم * وهذا ما أحاضر به فى مدح العلم والعلماء (عن) النبى صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ويقال العلم خير من المال لان العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والملوك حكام الناس والعلماء حكام على الملوك (وقال بعض العلماء) ليس شئ أعز من العلم وقال بعض العلماء انا لم نطلب العلم لنحيط به كله اذ لا سبيل الى ذلك ولكن لنستكثر من الصواب ونستقل من الخطأ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلوات الله وسلامه عليه لاخير فيمن لا يكون عالما أو متعلما * ومن فضائل العلوم أن شهادة أهلها مقرونة بشهادة الله تعالى جده وملائكته فى قوله عز اسمه شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم (وقال) على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه ويقال العلماء فى الارض كالنجوم فى السماء لولا العلم لكان الناس كالبهائم وقال بعض الحكماء العلم حياة القلوب ومصباح الأبصار وقال ابن المعتز فى فصوله علم الرجل ولده المخلد وقال أيضا الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا وقال أيضا مامات من أحيا علما (وقلت) فى الكتاب المبهج العلم أشرف ما وعيت والخير أفضل ما أوعيت وفيه العلماء أعلام الاسلام وأمان الايمان قال الشاعر

العلم خير أداة أنت جامعها * تلقى الرجال به فى الحفل ان حفلوا
وآفة العلم أن ينسى وأفضله * ما وافق العلم ممن يكمل العمل

وقال أيضا
اذا العلم لم تعمل بما صارحته * عليك ولم تعذر بما أنت جاهله

(ويقال) جالسوا عين قومكم يعظم حلمكم ويكثر علمكم وقال سلمان علم لا يقال كنز لا ينفق ويقال باب من العلم جسيم اذا سئلت عن الذى لا تعلم فقلت لا أعلم

(باب ذم العلوم)

(سئل) الجاحظ عن العلوم فأجاب بخلاف ما تقدم ونقض ما هنالك أبرم (سئل عن الكلام) فقال متفاوت الاصول قليل المحصول همة مناظر متملق وآلة مهذار متشدق (قيل فالفقه) قال يعتقد بالآراء ويتقلد بالاهواء دقيقه لا يلحق وجليله لا ينفق وهو من علوم المدابر الحير فى التدابير (قيل فالحديث) قال همة ضعيف وآلة مسن (قيل فالفلسفة) قال كلام مترجم وعلم مرجم بعيد مداه قليل جدواه مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة (قيل فالنجوم) قال حدس وترجيم وخسف وتنجيم صوابه عسير وغلطه كثير حرفة مجدود وصناعة غير محدود (قيل فالطب) قال موضوع على التخمين والحدس وتعليل النفس لا يوصل منه الى الحقيقة ولا يحكم فيه بالوثيقة (قيل فالنحو) قال علم مخترع وقياس مبتدع ثقيل على الاسماع قليل الارتفاع والانتفاع علم معدم وصناعة معلم (قيل فالعروض) قال علم مولد وأدب مستبرد يشكل العقول ويستولد الغفول مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول (قيل فالحساب) قال مستعجم عسير ومستوخم كدر بعيد الادراك شديد الاشتباه والاشتباك (قيل فالتعبير) قال ظن وحسبان لا يثبت به دليل ولا برهان ولا يقوم عليه شاهد ولا تبيان علم مضعوف وصناعة مكفوف (قيل فالخط) قال قليل الرد يسير الرفد صناعة مورق وبضاعة مزوق * فهذا ما نقل عن الجاحظ فى مدح العلوم وذمها (وتقول) أهل بغداد فى أمثالهم جهل يعولنى خير من علم أعوله ومن أمثالهم كف بخت خير من كر علم (وفى ذلك قيل)

وما أصنع بالعلم * اذا أعطيت بالجهل

(وقال ابن أبى البغل)

الصعو يصفو آمنا من جهله * حبس الهزار لانه مترنم
لو كنت أجهل ما علمت لسرنى * جهلى كما قد ساءنى ما أعلم

﴿وقال غيره﴾

المال يستر كل عيب فى الفتى * والمال يرفع كل نذل ساقط
فعليك بالاموال فاقصد جمعها * واضرب بكتب العلم عرض الحائط

﴿وكتب الى عمر بن شبة بعض أصدقائه﴾

أجفاه يا ابن شبه * بعد نصح ومحبه * ولزوم للدواوين وما يعطوك حبه
ليس يغنى عنك عند السقوم سفيان وشعبه * فالزم الجهل فان الجهل عند القوم رتبه
ودع العلم فان العلم فى ذا الدهر سبه

(وقال) بعض الشعراء للقاضى بن خلاد الرامهرمزى

قل لابن خلاد اذا جئته * مستندا فى المسجد الجامع
هذا زمان ليس يحظى به * حدثنا الاعمش عن نافع

﴿باب مدح الخط والقلم﴾

(يقال) القلم أحد اللسانين وقال اقليدس القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه القلب ويصوغ ما يسكبه اللب وقال أيضا الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية (وقال أفلاطون) الخط عقال العقل (وقال) جعفر بن محمد رضى الله عنهما لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم وقال المأمون لله در القلم كيف يحوك وشى المملكة وقال ثمامة ما أثرته الاقلام لا تطمع فى دروسه الايام وقال ابن المعتز القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة كأنه يقبل بساط سلطان أو يفتح باب بستان وقيل الاقلام مطايا الاوهام فامتطوها يطرد لكم الكلام ويسهل بجريها النظام (ويقال) عقول الرجال تحت أسنة أقلامها وعن بعض الفلاسفة أنه قال صورة الخط فى الابصار سواد وفى البصائر بياض (وقال مؤلف الكتاب) قد نوه الله باسم الكتابة وعظم من شأنها اذ أضافها الى نفسه جل ذكره وان لم تكن تلك الاضافة من النوع الذى يضاف الى خلقه ولا راجعة بوجه من الوجوه الى شبهه الا أنه دلنا بها على علو رتبتها وشرف منزلتها فقال عز من قائل وكتبنا له فى الالواح الآية وقال تعالى جده وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس وقال سبحانه كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وجعل جل جلاله من ملائكته كتبة سفرة وهم أرفع الخلق درجة وقال عز ذكره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى ورسلنا لديهم يكتبون وقال جل ذكره بأيدى سفرة كرام بررة ومعلوم أنه لو لم تكتب أعمال العباد كانت محفوظة

لا يتخللها خلل ولا يتداخلها نسيان ولا زلل لكنه علم عزاسمه أن نسخ الكتاب أبلغ فى التحذير وأوكد فى الانذار وأهيب فى الصدور وأراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة وأقسم عز اسمه بالآلة التى تتهيأ بها الكتابة وهى القلم فقال ن والقلم وما يسطرون كما أقسم بالاشياء الجليلة الاقدار الكبيرة الاخطار فى نفوس عباده وعيون بلاده كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض * وذاكرت فى هذا أبا الفتح البستى فأنشدنى لنفسه

اذا افتخر الأبطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

(وفى رسالة) لمؤلف الكتاب أوردها فى كتاب النظم والنثر وحل عقد السحر للمجلس الرفيع أولها فى طريق اللغز وآخرها فى مدح القلم * ما أصم سميع أخرس بليغ ضعيف قوى مهين عزيز دقيق الجسم جليل الفعل نحيل الشخص سمين الخطب حقير المنظر شهير الخبر صغير الجرم عظيم الجرم الخ (وقال ابن المعتز)

اذا أخذ القرطاس خلت يمينه * يفتح نورا أو ينظم جوهرا

وقال كشاجم واذا نمنمت بنانك خطا * معربا عن ملاحة وسداد

عجب الناس من بياض معان * تجتلى من سواد ذاك المداد

وقال البستى ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمى هز عامله

وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

باب ذم الخط والقلم

(قال ابن المعتز)

وأجوف مشقوق كأن سنانه * اذا استعجلته الكف منقار لاقط

وتاه به قوم فقلت رويدكم * فما كاتب بالكف الا كشارط

وقال أبو العلاء المعرى لو كان فى الخط فضيلة لما حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) بعض أولاد الامراء الخط صناعة ولا تحسن الصناعة بالملوك (وقال كشاجم) سل بى عن الأيام تعرف * انى ابن دهر ليس ينصف

وبلاغتى معروفة * سهل وأخطاها التكلف * وسطور خط مونق كالروض والبرد المفوف * والخط ليس بنافع * مالم يكن فى خط مصحف

وقال بعض الحكماء ماذا لقينا من الكتاب فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فقصد بلسانه

وأخذنا بحفظ فرائضه واقامة شرائطه وأمانى الآخرة فانا نلقاه منشورا بسرائرنا وخفايا ضمائرنا وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال أخلاق حلوه وشمائل معسوله وثياب مغسوله وتظرف أهل الفهم ووقار أهل العلم فاذا صالوا بنار الامتحان والاختبار وعرضوا على محك الاعتبار كانوا كالزبد يذهب جفاء أوكنبات الربيع فى الصيف تحركه هيفاء الرياح لايستندون الى وثيقة ولا يدينون بحقيقة أخفر الخلق لاماناتهم رأشراهم بالثمن البخس لعهودهم وديانتهم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (وقال الشاعر)

واذا أخطأ الكتابة حظ * عدمت تاؤها فصارت كآبه

(ومن ملح ماقيل فى ذم الكتبة لابن عروس)

تعس الزمان لقد أتى بعجاب * ومحا رسوم الظرف والآداب
فأتى بكتاب لوانطلقت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

(وقوله أيضا)

وكاتب يقرأ القرآن فى سند * من بعد حين وأما بعد فى حين
لايعرف الفرق فى عمرو ولا عمر * جهلا ولا الفرق بين السين والشين

(ولبعض أهل العصر)

وكاتب كتبه تذكرنى القرآن حتى أظل فى عجب
فاللفظ قالوا قلوبنا غلف * والخط تبت يدا أبى لهب

وقل فلان قد صدأ فهمه وتبلد طبعه وتكدر خاطره ويقال خط مجمجم ولفظ ملجلج

(باب مدح الأدب)

(قال) بزرجمهر ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته الأدب وأى شئ فات من أدرك الأدب وقال ابن عائشة القرشى أهل الأدب هم الاكثرون وان قلوا ومحل الانس أين حلوا (وقال) خالد بن صفوان لابنه يابنى الأدب بهاء الملوك ورياش السوقة والناس بين هاتين فتعلمه تجده حيث تحب وقيل الادب وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة (وقلت فى الكتاب المبهج) حلية الأدب لاتخفى وحرمته لاتجفى

وقال اليزيدى ليس الفتى كل الفتى * الا الفتى فى أدبه
وبعض أخلاق الفتى * أولى به من نسبه

وقال بعض الظاهرية لو علم الجاهلون ما الأدب لأيقنوا انه هو الطرب وقال حكيم

لابنه يابنى عز السلطان يوم لك ويوم عليك وعز المال وشيك ذهابه جدير انقطاعه وانقلابه وعز الحسب الى خمول ودثور وذبول وعز الادب راتب واصب لا يزول بزوال المال ولا يتحول بتحول السلطان ويقال من تعدبه حسبه نهض به أدبه وقال ابن المعتز لست تعدم من الاديب كرمامن طبعه أو تكرمامن أدبه وقال أيضا الأدب صورة العقل فحسن عقلك كيف شئت

﴿ باب ذم الأدب ﴾

(كان) يقال اذا أكثر أدب الرجل قل خيره ومن قل خيره كثر ضيره وقال الجدوني ويروى للخليل بن أحمد البصري

مالزددت فى أدبى حرفا أسر به * الا تزايدت حرفا تحته شوم
ان المقدم فى حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

﴿ وقال أبو الحسن المشادى ﴾

اذا سرك أن تحظى * وان تلبس فوهيا * من الخز أو الوشى * عمانيا وسوسيا
وان تصبح ذا عز * فكن عالجا نبيطيا * وان سرك حرمان * به تصبح مقليا
فكن ذا أدب جزل * وكن مع ذاك نحويا

وقال آخر

اذا هممت بشأو قلت انى قد * أدركته أدركتنى حرفة الادب
لا تغبطن أديبا ماله نشب * لا خير فى أدب الاسمع النشب

وقال بعضهم حرفة الادب حرفه * ويقال للادب حرفة لا يخلو منها أديب (وفى هذا الباب من غير هذا الكتاب لقابوس)

ولى همة فوق السماك محلها * ولكن لحظى فى الحضيض نصيب
رأى الفلك الدوار سعيى فقال لى * أتسألنى حظا وأنت أديب *

﴿ باب مدح الشعر والشعراء ﴾

(كان) يقول الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز أدبها ويقال الشعر لسان الزمان والشعراء للكلام أمراء وقال بعض السلف الشعر أدنى مروءة السرى وأسرى مروءة الدنى وقال آخر الشعر جزل من كلام العرب تقام به المجالس وتستنجح به الحوائج وتشفى به السخائم ويقال المدح مهزة الكرام واعطاء الشاعر من بر الوالدين وقال بعضهم انصف الشعراء فان ظلامتهم تبقى وعقابهم لا يفنى وهم الحاكمون على الحكام وقال آخر الشعر الجيد هو السحر الحلال والعذب الزلال وقال

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وعنه عليه الصلاة السلام أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وقال له النبي عليه الصلاة والسلام صدقت ثم قال * وكل نعيم لا محالة زائل * قال النبي عليه الصلاة والسلام كذبت نعيم الجنة لا يزول وقال بعضهم رب بيت شعر خير من بيت تبر وكان عمر رضي الله عنه لا يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر وكان يقال النثر يتطاير تطاير الشرر والشعر يبقى بقاء النقش في الحجر (وقال آخر) الشعر صوب العقول وكلام الفحول وقيل لحمزة بن بيض من أشعر الناس قال من اذا قال أسرع واذا وصف أبدع واذا مدح رفع واذا هجا وضع (وقال دعبل) في كتابه الموضوع في مدح الشعراء أنه لا يكذب أحد الا اجترأ الناس فقالوا كذاب الا الشاعر فانه يكذب و يستحسن كذبه ويحتمل ذلك له ولا يكون عيبا عليه ثم لا يلبث أن يقال أحسنت وفيه أن الرجل الملك أو السوقة اذا صير ابنه في الكتاب أمر معلمه أن يعلمه القرآن والشعر فيقرنه بالقرآن ليس لان الشعر كهو ولا كرامة للشعر لكنه من أفضل الآداب فيأمره بتعليمه اياه لانه توصل به المجالس وتضرب فيه الامثال وتعرف به محاسن الاخلاق ومشاينها فتذم وتحمد وتهجى وتمدح وأي شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر * وفيه ان امرأ القيس كان من ابناء الملوك وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكره الى القيامة وانما أمسك ذكره شعره (وقال) مؤلف الكتاب وأحسن ما مدح به الشعر قول أبي تمام حيث يقول

ولولا خلال سنها الشعر ما درى * بناة المعالي كيف تبنى المكارم

(وأحسن منه)

أرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذي * تبقيه أرواح له عطرات

وما المجد لولا الشعر الا معاهد * وما الناس الا أعظم نخرات

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتجزو ينشد بيت طرفة ولا يقيم وزنه

(فصل لابي بكر الخوارزمي جامع في مدح الشعراء) ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم ومردود الا فيهم اذا ذموا ثلبوا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم بالعقوبة يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يستحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر سهامهم تنفذ في الاعراض وشهاداتهم مقبولة وان لم

ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العدل بل ماظنك بقوم هم أمراء الكلام يقصرون طويله ويطولون قصيره يقصرون ممدوده ويخففون ثقيله ولم لا أقول ماظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفى كل واد يهيمون ويقولون مالا يفعلون

﴿باب ذم الشعر والشعراء﴾

(كان) يقال الشعر رقية الشيطان ولذلك قال جرير وهو يمدح عمر بن عبد العزيز ويصف ترفعه عن استماع الشعر

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(وقيل) ليحيى بن خالد لم لا تقول الشعر فقال شيطانه أخبث من أن أسلطه على عقلى وقال غيره لا خير فى شئ أحسنه أكذبه (وكان) أبو مسلم يقول اياكم والشعراء فانهم يهجون جليسهم ويطلبون على الكذب مثوبة وجعلا وقال غيره لا تجالس الشاعر فانه اذا غضب عليك هجاك واذا رضى عنك كذب عليك وقد وصفهم الله تعالى ومتبعيهم من رواتهم بالصفة الخاصة بهم فقال والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وقرنهم بشر صنف من منتحل الاباطيل وهم الكهنة فقالوا وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون ومن أحسن وأصدق ماذم به الشاعر قول عبد الصمد بن المعدل لابى تمام وقد قصد البصرة وشارفها

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال * من حبيب أو راغبا فى نوال
أى ماء للحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما بلغت الابيات أبا تمام قال صدق والله وأحسن وثنى عنانه عن البصرة وحلف لا يدخلها أبدا وقال أبو سعيد المخزومى

الكلب والشاعر فى حالة * ياليتنى لم أكن شاعرا
أما تراه باسطا كفه * يستطعم الوارد والصادرا

ولبعضهم

انى أرى الشعراء أفنوا دهرهم * فى وصف كل حبيبة وحبيب
وسواهم يحظى بما وصفوا له * فهم وكالقواد فى الترغيب

لكن

لكن ترى القوّاد يظفر بالعطا * وهو بغت الله والتكذيب

﴿وقال أبو سعيد الرستمي الاصبهاني﴾

تركت الشعر للشعراء انى * رأيت الشعر من سقط المتاع

(قيل) ان ظفر بن سعيد كان أديبا فاضلا لبيبا كتب على حاشية الكتاب هذين البيتين وأخذته غيرة الادب فقال كذب قائل هذا الشعر لقد وهم فيما شبه اذا كان الكتاب يأتي اليه فائض الموائد وهذا يخص بأنواع الفرائد وذاك يطعم رحمة وهذا يعطى خشية وله من الفضائل ما يقرع طباع اللئيم ويهز عطف الكريم ويستدل بصناعته على جواهر المعاني ولو قال هذين البيتين لاصاب وأنصف

يمدح أقواما يرجى الغنا * وانما يحرك فى نحسه

يكذب فى المدح ويعطونه * وعداو يقضى الدين من جنسه

﴿باب مدح الكتب والدفاتر﴾

قال الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا واناء شحن مزاحا وجدا ان شئت كان أعيا من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت عجبت من غرائبه وان شئت ألهتك مضاحكه وان شئت أشجتك مواعظه فالكتاب نعم الظهر والعمدة ونعم الكنز والعدة ونعم الذخر والعقدة ونعم النزهة والعشرة ونعم الشغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وهو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يغريك والرفيق الذى لا يملك والمستميح الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستطيلك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك وهو الذى يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويفيدك فى السفر افادته فى الحضر لا يعتل بنوم ولا ضجر ولا يعتريه كلال السهر وهو المعلم الذى اذا افتقرت اليه لم يحقرك واذا قطعت عنه المادة والمائدة لم يقطع عنك العادة والعائدة وان هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك وان قل مالك لم يترك زيارتك (ثم قال) متى رأيت بستانا يحمل فى ردن وروضة تقلب فى حجر ينطق عن الاموات ويترجم كلام الاحياء ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاسق وبساكت ناطق وبحار بارد وبطبيب أعرابى وبرومى هندى وبفارسى يونانى وبقديم مولد وبميت ممتع (ثم قال) ولولا ما رسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت فى عجائب حكمتها ودونت من محاسن سيرها

وفننت من بدائع آثرها حتى شاهدنا ما غاب عنا وفتحنا كل مستغلق علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا مالم ندركه الا بهم (ثم قال) ولولا الكتب المدونة والاخبار المفننة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الفهم (وقال مؤلف الكتاب) حدثني صديق لى قال قرأت على شيخ كتابا فيه ما آثر غطفان فقال ذهبت المكارم الا من الدفاتر قال وسمعت الحسن اللؤلؤى يقول عبرت أربعين عاما ماقلت ولابت الا والكتاب موضوع على صدرى (وقال المؤلف) وكثيرا ما أذكرنى أكل الوحية وأنا أنظر فى كتاب جديد وقع الى ولا أصبر عنه الى وقت فراغى من الاكل وسمعت أبا نصر سهل بن المذمال يقول كثيرا ما أفعل مثل ذلك وكان يقول انفاق الفضة على كتب الآداب يخلف عليك ذهب الالباب (وقال) الحسن بن طباطبا العلوى فى بعض الكتب الكتب حصون العقلاء اليها يلجؤن وبساتينهم بها يتنزهون

وقال اجعل جليسك دفترا فى نشره * للميت من حكم العلوم نشور

وكتاب علم للاديب مؤانس * ومؤدب ومبشر ونذير

ومفيد آداب ومؤنس وحشة * واذا انفردت فصاحب وسمير

(وللمتنبي) أعز مكان فى الدنا سرج سابح * وخير جليس فى الزمان كتاب

﴿باب ذم الكتب والدفاتر﴾

(يقال) الكتاب علم لا يعبر معك الوادى ولا يعمر بك النادى وقيل فى معناه

انى لا كره علما لا يكون معى * اذا خلوت به فى جوف حمام

وقيل من تأدب من الكتاب صحف الكلام ومن تطيب منه قتل الانام ومن تنجم منه أخطأ فى الايام ومن تفقه منه غير الاحكام (قال الشاعر)

ليست علومك ما حوته دفاتر * لكن علومك ما حوته صدور

﴿ولمؤدب لى كان فى صباى أنشدنى﴾

صاحب الكتب تراه أبدا * غير ذى فهم ولكن ذا غلط

كلما فتشته عن علمه * قال علمى يا خليلى فى سقط

فى كراريس جيادا حكمت * وبخط أى خط أى خط

فاذا قلت له هات اذن * حك لحييه جميعا وامتخط

﴿وأنشد الجاحظ لمحمد بن بشير﴾

اذا لو أعى كل ما أسمع * وأحفظ من ذاك ما أجمع

ولم

ولم أستفرغ برماقد جمعت * لقيل هو العالم المصقع
ولكن نفسي الى كل شئ * من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ماقد جمعت * ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك في علمه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع

ثم كان قاتله الله شديد الصبابة بالعلم كثير الصيانة له (وأنشد) يونس النحوى

استودع العلم قرطاسا فضيعه * وبئس مستودع العلم القراطيس

(وللاستاذ) الطبرى رسالة فى آفات الكتب نظمها بعض تلامذته فقال

عليك بالحفظ دون الجمع فى كتب * فان للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها * واللص يسرقها والفار يخرقها

﴿باب مدح التجارة﴾

قد ذكر الله تعالى التجارة فى القرآن حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقال عز اسمه وأحل الله البيع وحرم الربا وقال جل ذكره وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وقال النبي عليه الصلاة والسلام أطيب ما يأكل الرجل من كسبه والكسب فى القرآن التجارة وقال عليه الصلاة والسلام التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وقال عليه الصلاة والسلام تسعة أعشار الرزق فى التجارة وكان صلى الله عليه وسلم برهة من الدهر تاجرا وشخصا مسافرا وباع واشترى حاضرا ولاشتهار أمره فى ذلك قال المشركون مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فأوحى الله تعالى اليه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فأخبر جل اسمه أن الانبياء قبله قد كانت لهم تجارات وصناعات (وكان) عمر رضى الله تعالى عنه يقول ما ميتة بعد القتل فى سبيل الله أحب الى من أن أموت بين شعبتى رحلى أضرب فى أرض الله وأبتغى من فضل الله وكان بعض السلف يقول الاسواق موائد الله فى أرضه فمن أتاها أصاب منها (وعن) مجاهد فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم يعنى التجارة فى الاسواق وقيل التجارة امارة والارباح توفيقات

﴿باب ذم التجارة﴾

(فى) الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لو شئت حلفت لكم أن التاجر فاجر وقال عليه

السلام ما أوحى الى أن أجمع وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى أن أسبح بحمد ربى وأكون من الساجدين وكان الضحاك يقول ما من تاجر ليس بفقيه الا أكل من الرباشيأ وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وكان على رضى الله عنه يقول تفقه ثم اتجر فان التاجر فاجر الا من أخذ الحق وأعطاه ويروى أن ابليس لما استنظر فانظر قال الهى أين بيتى قال الحمام قال ما مصائدى قال النساء قال أين مجلسى قال السوق وكان أبو الدرداء يقول اياكم ومجالس الاسواق فانها تلغى وتلهى (وقال الحسن) الاسواق مصلحة للاموال مفسدة للدين وقيل اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وفقهاء الرساتيق وقيل ويلهم ما أغفلهم عما أعدلهم قال الشاعر اذا ماغضب السوقى فالحبة ترضيه

(وقال آخر) ما للتجار وللسخاء وانما * نبتت لحومهم على القيراط

وقال ابن الرومى رب أطلق يدى فى كل شيخ * ذى رياء بسمته وسكونه

تاجر فاجر جموع منوع * يرهق الناس باقتضاء ديونه

وقال كلوا مال التجار وسوفوهم الى وقت فانهم لئام وليس عليكم فى ذلك اثم فان جميع ما جمعوا حرام وقال عكرمة أشهد على كل وزان وكيال بالنار وفى الخبر اياكم والاسواق فان الشيطان قد باض فيها وفرخ وقال بعض الاشراف لصديق له لا تسلم ابنك فى شئ من أنواع الكسب فانها تورث لا محالة لؤم الطبع وظلمة القلب وقصور الهمة ووهى اللسان وسوء الادب ولبعضهم

قد ترى يا ابن أبى اسحق فى ودك عهده وكذا السوق للاخوان سوق المودة

﴿باب مدح الضياع﴾

(حدث) هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوا الرزق فى خبايا الارض وكان عروة يقول ازرع أما لك أرض أما سمعت قول القائل أقول لعبد الله لما لقيته * يسير بأعلى الرقتين مشرقا

تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب وترزقا

وقال بعض السلف من أراد أن يتوسع فى الرزق فليقتن مع تجارة له ضيعة ألا ترى أن الله تعالى قد قرن بينهما فى كتابه فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض وقيل لسفيان بن عيينة ما بال الرجل يبيع الضيعة فلا يبارك له فى ثمنها فقال اما سمعتم قوله تعالى فى وصف الارض وبارك فيها وقدر فيها

اقواتها

أقواتها فكيف يبارك فى ثمن بيل عن ملكه شيأ قد بارك الله فيه (وفى الخبر) من باع عقارا ولم يصرف ثمنه فى مثله كان كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وقال اسمعيل بن صبيح لصديق له اتخذ لك ضيعة تعينك اذا جاءتك الاخوان (وقيل)

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

وفى الكتاب المبهج فلاح المعيشة فى الفلاحة ولا ضيعة على من له ضيعة (وفيه) قص جناح المال الطيار باعتقار العقار (وفيه) ليس بحازم من باع العقار وابتاع العقار وشرى الماء واشترى الاماء (وعن) أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان قامت القيامة وفى يدك فسيلة فاغرسها وروى الجاحظ باسناده عن عبد الله بن سلام لا تدع غرس يدك لو سمعت أن الدجال خرج وقيل لعثمان ابن عفان رضى الله عنه أتغرس بعد الكبر فقال لان توافينى الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافينى وأنا من المفسدين وقيل لابى الدرداء وهو يغرس جوزة أتغرس بعد الكبر وأنت شيخ وهى لا تطعم الا بعد عشرين سنة أو ثلاثين فقال وما على أن يكون الاجر لى والهناء لغيرى (ويقال) مر كسرى بشيخ كبير يغرس فسيلة فقال أترى أن تأكل من ثمرها فقال لا ولكنى وجدت أرض الله عامرة فأحببت أن لا تخرب على يدى (ويقال) ان شيخا كان يغرس شجر النارجيل وهى لا تثمر الا بعد أربعين سنة فرآه كسرى وقال له أتعيش الى أن تأكل منها فقال الشيخ غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون فقال كسرى زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وكان من عادته ذلك لمن يقول له زه فقال الشيخ أيها الملك ان غرس السابقين أثمر بعد أربعين سنة وغرسنا أثمر فى يومه فقال كسرى زه وأمر له بأربعة آلاف مثلها (وسئل واحد) أى المال أفضل فقال عين خرارة فى أرض خوارة قيل ثم ماذا قال الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل الملقحات بالفحل يريد بها النخل وقال الشاعر

استغن أومت ولا يغررك ذو نسب * من ابن عم ولا عم ولا خال
انى مكب على الزوراء أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو مال
كل النداء اذا ناديت يخذلنى * الا ندائى اذا ناديت يا مالى

(وقلت فى المبهج) اذا ما نقل الدهقا * ن غلات الرساتيق
فكم من نعمة بيضاء * فى سود الجواليق

(وقلت أيضا) يارب أنت وهبتها لى نعمة * أضحت نعيمى على الزمان بيرها

ووهبت منها نعمة لا تلهني * يارب أنت بسكرها عن شكرها

﴿باب ذم الضياع﴾

(قلت في المبهج الضيعة ضائعة مالم تدبرها بقوة ساعد وجد مساعد وفيه الضياع مدارج الغموم وكتب وكلائها سفاتج الهموم (وقلت) في رقعة الى وكيل أجيبه بها

يارقعة طويت على حيات * وعقارب كدرن ماء حياتي
ما أنت الا من تباريح الجوى * وسفاتج الاحزان والحسرات
وكأن أحرفك الكريهة أعين * لرواقب أو ألسن لوشاة
أو كالضياع رقاع قيمتها اذا * وافت أتت بحوادث الآفات

(وقلت أيضا) قد قلت قولا سديدا * يروى العطاش عنائه
ان الخراج خراج * دواؤه في أدائه

وهو منظوم من قول الصاحب حيث قال الخراج خراج دواؤه في أدائه وذكرت الضياع وجلالتها ونوائبها بحضرة أبي العباس احمد بن محمد بن الفرات فأنشدني

هي المال الا أن فيها مذلة * فمن شاء قاساها ومن مل باعها

وقال أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الحربي لابن محمد السلمي

قد كانت الضيعة فيما مضى * تعد من مالكها ذاهبه
فصار من يملكها يوما * مهجته في حفظها ذاهبه
يستغرق الغلة في خرجها * وتفضل الكلفة والنائبه
فان يقم صاحبها هكذا * ينجو والا نتفوا شاربه

﴿باب مدح الدور والابنية﴾

كان يقال جنة الرجل داره وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني دارك قميصك فوسعه كيف شئت وذكر الاحنف الدور فقال اسكن أول مايشترى وآخر مايباع وقيل لبعض الناس ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء

(وينشد) ومن المروأة للفتى * ماعاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره

وكان يقال دار الرجل عشه وفيها يطيب عيشه وقال السلمي في كتابه نتف الظرف الدور للناس كالعش للطير والاوجرة للوحش والجحرة للحشرات ودار الرجل مأوى نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحرز ماله ومأنس ضيفه وملتقى

صديقه

صديقه وعدوه فلاشئ أصعب على الناس من خروجهم من ديارهم وقد قرن الله تعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من ديار كم مافعلوه الا قليل منهم (وقال) المتوكل لابي العيناء كيف ترى دارنا هذه فقال يا أمير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك وقال بعض الاشراف لابنه يابني حسن أثرك فى هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر

ليس الفتى بالذى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار

ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(ومن أحسن ماقيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم)

ومازلت اسمع ان الملو * ك تبنى على قدر أخطارها

فلما رأيت بناء الاما * م رأيت الخلافة فى دارها

وكان جعفر بن سليمان الهاشمي يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ودارى عين المربد *ومن أحسن ماسمع فى التهنئة بالدور قول أبي القاسم الزعفراني فى الصاحب

سرك الله بالبناء الجديد * نلت حال الشكور والمزيد

هذه الدار جنة الخلد فى الدنيا فصلها وأختها بالخلود

وللمؤلف الكتاب فى الاخشيد بجرجانية

وقصر ملك ترى كل الجمال به * واسعد الدهر تبدو من جوانبه

كأنه جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تجميلا لصاحبه

﴿باب ذم الدور والابنية﴾

فارق النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة وكان عليه السلام يقول اذا أراد الله بعبد سوأ جعل ماله فى الطين والماء وعنه أيضا عليه السلام أنه قال اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى اللبن والطين وذكر وهب بن منبه فى الحديث القدسى قال الله عز وجل من استغنى بأموال الفقراء أفقرته ومن تجبر على الضعفاء أذللته ومن بنى بقوة الفقراء أعقبت بناءه الخراب (وقال وهب بن الوردى) كان نوح عليه السلام اتخذ بيتا من خص فقيل له لو بنيت بناء فقال هذا لمن يموت كثير وقال ابن مسعود يأتى بعد كم أقوام يرفعون الطين و يضعون الدين ويمتطون البراذين و يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم وقيل ليزيد بن المهلب

لم لا تبني دارا بالبصرة فقال لاني لا أدخلها الا أميرا أو أسيرا فان كنت أميرا فدار الامارة داري وان كنت أسيرا فالسجن مسكني وقراري (وكان يقال) البناء من يوم ابتدائه في نقصان والغرس من يوم ابتدائه في زيادة * ومر بعض الخوارج على دار تبنى فقال من هذا الذي يقيم كفيلا (وقيل) الدار الضيقة العمى الاصغر * ومن أحسن ما قيل في التبرم بالعمارة قول بعضهم

الامن لنفس وأحزانها * ودار تداعت بحيطانها
أظل نهاري في شمسها * شقيا بالقاء بنيانها
اسود وجهي بتبييضها * وأهدم كيسي بعمرانها

(باب مدح الحمام)

قال بعض السلف نعم البيت بيت الحمام ينقي الاقذار ويذكر النار وذكر الحمام عند الفضل الرقاشي فقال نعم البيت بيت الحمام يذهب القشافة ويعقب النظافة ويجشي التخمة ويطيب البشرة (وقلت في المبهج) الحمام صقيل الاجسام ونظام النظافة ودافع آفة القشافة ولم يمدح الحمام كما مدحه السري حيث قال

بيت بنته حكماء الورى * فهو الى الحكمة منسوب
يجاور النار ولكنه * يجاور النار به الطيب
حر هو الروح لاجسامنا * والحر للاجسام تعذيب

(ولبعضهم) وقد دعا صديقا الى الحمام وأظنه للسري أيضا

أسعيد هل لك في زيارة منزل * تثني عليه جوارح الزوار
بيت ترى الجدران فيه منابعا * وترى السماء كثيرة الاقمار

(ولآخر يمدحه)

قم بنا قبل غرة الاصباح * وقيام السقاة بالاقداح
نتمشى الى النعيم الذي فيه صلاح الاجسام والارواح
بيت ظرف تحول عيناك فيه * بين بيض الطلا وبيض القفاح
وتلاقى الجسوم في خلع منه رقاق على الجسوم ملاح
فاذا ما صقلت جسمك فيه * باكف النعيم صقل الصفاح
تتروى من الصبوح وتقتض نسيم الرياح قبل الصباح

(وللمؤلف في المبهج)

وحمام

* وحمام له حر الجحيم * ولكن شابه برد النعيم
رأيت به ثوابا في عقاب * وزارت به نعيما في جحيم

﴿ولأبي طالب المأموني رحمه الله﴾

أحق بيت من بيوت الورى * بصونه قدما وايثاره
* بيت اذا ما زاره زائر * وقد قضى أعظم أوطاره
وهو اذا ما جاء مستنظفا * مروءة الانسان في داره
يدخله المولى بخز كما * يدخله العبد بأطماره

﴿وله﴾ وبيت كاحشاء المحب دخلته * ومالي ثياب فيه غير أهابي
أرى محرما فيه وليس بكعبة * فساغ الا فيه خلع ثيابي
بماء كدمع الصب في حر قلبه * اذا آذنت أحبابه بذهاب
توهمت فيه قطعة من جهنم * ولكنها من غير مس عقاب
يشير ضبابا بالبخار محللا * بدور زجاج في شموس قباب

﴿باب ذم الحمام﴾

قال بعض السلف بئس البيت الحمام يكشف عن العورة و يذهب بالحياء وفي الخبر ان الحمام من بيوت الشياطين (ولما) مدح الرقاشي الحمام بما تقدم قيل له ذمه فقال بئس البيت بيت الحمام يهتك الاستار و يذهب الوقار ويؤلف الى الاطياب الاقذار ومن أبلغ ما قيل في ذمه قول ابن المعتز

حمامنا كالعجوز * يشقى به الوارد بيت له منتن * بيت له بارد

وقوله مانلت بالحمام حرا ولا * يصلح فيه غير تبريدما
وجدت بالصيف به رعدة * فكيف أرجو عرقا في الشتا

(ولبعضهم) وحمام دخلناه لأمر * حكى سقرا وفيه الجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

(وللصنوبري) حمامنا ليس فيه ماء * وبرده ماله انقضاء
ما ينفع القطن فيه شيأ * ولا اللبابيد والفراء
ترعد في الصيف فيه بردا * فصيف حمامنا شتاء
فلم نرده لدفع داء * هل يدفع الداء وهو داء

﴿باب مدح المال﴾

قد مدح الله المال وسماه خيرا بقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا أى مالا وبقوله وانه لحب الخير لشديد أى المال (ويروى) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه كان يقول حبذا المال أصون به عرضي وأقرضه ربى فيضاعفه لى يريد قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة (وروى) السدى عن ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله عز اسمه ويزدكم قوة الى قوتكم أى مالا الى مالكم وكان رضي الله عنه يقول قد يشرف الوضيع بالمال (ويقال) المال تكسب أهله المحبة لا مجد الا بمال ولا حمد الا بفعال (وقيل) الآمال مشغولة بالاموال (وقال) الشاعر

كل النداء اذا ناديت يخذلنى * الا ندائى اذا ناديت يامالى

ولأبى العتاهية

قد بلونا الناس فى أحوالهم * فرأيناهم لذى المال تبع

وقال آخر

شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما * المال يصلح منها الحال والولد

زين الحياة هما لو كان غيرهما * كان الكتاب به من ربنا يرد

يعنى قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا (وكان) يقال أصل السودد والرياسة المال وبه تستجمع أسبابهما وتدر أحوالهما وقد انعاد الناس حديثا وقدما الغنى ولذلك حكى الله تعالى فى أمر طالوت عن ملكه عليهم فقال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال (وقلت) فى المبهج لا موئل كالمال (وفيه) القلوب لا تستمال بمثل المال والعرض هو العرض (وفيه) مال الرجل موئله وقوته وقوته (وفيه) من أصلح ماله فقد حصل نقاء العرض وحصن بقاء العز

﴿باب ذم المال﴾

قال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة (ويقال) المال ملول والمال ميال والمال غادورائح وطبع المال كطبع الصبي لا يوقف على رضاه وسخطه (وقيل) المال لا ينفعك ما لم يفارقك (وقيل) قد يكون مال المرء سبب حتفه كما ان الطاوس قد يذبح لحسن ريشه * ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى قول ابن المعتز

ألم تر أن المال يهلك ربه * اذا جم آتيه وسد طريقه

ومن جاور الماء الغزير بجسمه * وسد طريق الماء فهو غريقه

﴿باب مدح الغنى﴾

(قلت

(قلت فى المبهج) لو لم يكن فى الغنى الا أنه من صفات الله لكفى به فضلا * ومن أبلغ ماقيل فيه أى فى مدح الغنى وتفضيله على النسب قول ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود فى العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(و ينشد لأبى الأسود الدئلى فى حارثة بن بدر)

وتاه تميم بالغنى ان للغنى * لسانا به رب المهانة ينطق

(وقال غيره) ألم تر أن الفقر يهجر بيته * و بيت الغنى يهدى له ويزار

(وقلت فى المبهج) الغنى مجل مبجل والفقر مذل مبتذل

(باب ذم الغنى)

(قال) الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال عز ذكره انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون ماجددوا لله معصية الا جدد لهم نعمة ليستدرجهم بها (وقال) بعض الحكماء الغنى يورث البطر (و يقال) غنى النفس أفضل من غنى المال (وقال) الشاعر

غنى النفس ماعمرت غنى * وفقر النفس ماعمرت شقاء

(وقال محمود بن الوراق)

لاتشعرن قلبك حب الغنى * ان من العصمة أن لاتجد
كم واجد أطلق وجدانه * عنانه فى بعض مالم يرد
ومدمن للخمر غادالى * سماع عود وغناء غرد
لولم يجد خمرا ولامسمعا * برد بالماء غليل الكبد
وكم يد للفقر عند امرئ * لما أتاه منه الفقر حتى اقتصد

(باب مدح الفقر)

كان يقال الفقر شعار الصالحين (و يقال) الفقر لباس الانبياء (وفيه) يقول البحترى

فقر كفقر الانبياء وغربة * وصبابة ليس البلاء بواحد

وكان يقال الفقر مخف والغنى مثقل (و يقال) الفقر أخف ظهرا وأقل عددا (وكان) سفيان الثورى يقول الصبر على الفقر يعدل الجهاد فى سبيل الله تعالى

(ومن أحسن ماقيل فى مدح الفقر قول أبى العتاهية)

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقال محمود الوراق يا عائب الفقر ألا تنزجر * عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى لو صح منك النظر

أنك تدعو الله تبغي الغنى * ولست تدعو الله أن تفتقر

﴿باب ذم الفقر﴾

كان يقال الفقر مجمع العيوب (ويقال) الفقر كنز البلاء (ويقال) الفقر هو الموت الأحمر (وقال) النبي عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا (وكان) سعيد بن عبد العزيز يقول ماضرب العباد بسوط أوجع من الفقر (ومن) فصول ابن المعتز لا أدري أيهما أمر موت الغنى أم حياة الفقير (وقلت) في المبهج لا فاقرة كالفقر (وفيه) الفقر في الاذن وقر وفي الكبد عقر وفي القلب نقر وفي الجوف بقر (وينشد) لبعضهم

اذا قل مال المرء قل حياؤه * وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وان كان حازما * اقدامه خير له أم وراؤه

وقال صالح بن عبد القدوس

بلوت أمور الناس سبعين حجة * وجربت صرف الدهر في العسر واليسر

فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى * ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وقال أبو أحمد اليمامي غالبت كل شديدة فغلبتها * والفقر غالبني فأصبح غالبي

ان أبده أفضح وان لم أبده * أقتل فقبح وجهه من صاحب

﴿باب مدح القناعة﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هي القناعة وقال بعض الحكماء لابنه يابني العبد حر اذا قنع والحر عبد اذا طمع (وكان) يقال أنت العزيز ما التحفت بالقناعة وقيل القانع بما قسم الله في حدائق النعيم (ويقال) اخفض الخفض رضا المرء بحظه (وقال بعضهم) من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير ومن فصول ابن المعتز أعرف الناس بالله من رضي بما قسم له (وقال غيره) من قنع بماله استراح وأراح (وقال أبو العتاهية)

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا * فكل ما في الأرض لا يغنيكا

وقال أيضا تنح نفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها

ولغيره) اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

ومن طلب العليا من العيش لم يزل * حقيرا وفى الدنيا أسير غبونها

(وقال غيره) اذا ماشئت أن تحيا * حياة حلوة المحيا

فلا تحسد ولا تحقد * ولا تأسف على الدنيا

﴿باب ذم القناعة﴾

(قال) بعض المهالبة من اتخذ القناعة صناعة لحق بالخول وفاتته معالى الامور (وقال) آخر القناعة من أخلاق العاجز والوهن العاجز (ويقال) البركات حيث الحركات (وقال) حكيم لابنه يابنى انما قناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف الغريزة ولؤم النحيزة فلا ترض لنفسك الا كل غاية (وقال) الرافعى من قصيدة له

رأت عزماتى وفرط انكماشى * وطول التململ فوق الفراش

* فقالت أراك أخا همة * ستبلغها فترى ذا انتعاش

فهلا قنعت ولا تغترب * فقلت القناعة طبع المواشى

(وقال) رجل لمعروف الكرخى رحمه الله أتحرك فى طلب الرزق أم أحرى فى طريق القناعة فقال تحرك فان الله قال لمريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء الله أن ينزله عليها من غير أن تسعى فى هز النخلة لفعل وقد نظم هذا المعنى من قال

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجزع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

﴿باب مدح القلة﴾

سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول اللهم اجعلنى من الاقلين فقال ما هذا الدعاء فقال سمعت الله يقول وقليل ما هم وقليل من عبادى الشكور وما آمن معه الاقليل (وقال) بعض العلماء ان الكثرة ليست بممدوحة فى كتاب الله عز وجل وانما الممدوح الاقلون لانا سمعنا الله يثنى على أهل القلة ويمدحهم ويذم أهل الكثرة ويبخهم حيث يقول عز من قائل ثم توليتم الا قليلا منكم ويقول فشربوا منه الا قليلا منهم ويقول لاتبعتم الشيطان الا قليلا ويقول جل ذكره حكاية عن ابليس لأحتنكن ذريته الا قليلا ويقول جل جلاله فى ذم الكثرة ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا ويقول بل أكثرهم لا يؤمنون ويقول ولكن أكثر الناس لا يشكرون ويقول منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ويقول وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت ويقول

وأكثرهم لا يعقلون ولكن أكثرهم يجهلون ويقول ولكن أكثرهم للحق كارهون ويقول وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وقال الشاعر

تعيرنا أنا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقالت الفلاسفة كل كثير عدو للطبيعة وقالت الاطباء الاقلال مما يضر خير من الاكثار مما ينفع (وقال اسحق الموصلي)

هل الى نظرة اليك سبيل * فيروى الظما ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي * وكثير من الحبيب القليل

(وقال) جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه لا تستحي من اعطاء القليل فكل فوائد الدنيا قليل والحرمان أقل منه (وقال) الشاعر

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود وما لديك قليل

﴿باب ذم القلة﴾

(كان) يقال الذلة في القلة والشرف في السرف (وكان) قيس بن سعد بن عبادة يقول اللهم انك تعلم أن القليل لا يسعني ولا أسعه فأكثر لي ووسع علي (وقال) منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

(وقال) سري الموصلي

قبلت على الرغم نيل البخيل * وقلت قليل أتى من قليل
تعجبت لما ابتدى بالجميل * وما كان يعرف فعل الجميل
وما كان اعطاؤه سوددا * ولكنه غلطة من بخيل

(ويقال) من قل ذل ومن برّ عز (وقال) النبي عليه السلام كونوا من السواد الاعظم

﴿باب مدح اللسان﴾

(كان) يقال ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو ضالة مهملة أو بهيمة مرسلة (وقال) بعض الحكماء المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان (وقال) الجاحظ اللسان أداة يظهر به البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفصل بين الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن القبيح ومبشر ترد به الاحزان ومعتذر تذهب به

الاضغان ومله يونق الاسماع وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومؤنس يسلي الوحشة (ويقال) المرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه (وقال) بعض العلماء البلغاء للسان فضائل معدومة في الجوارح ودرجته عالية على درجاتها لما خصه الله به من النطق والبيان وأنطقه بالذكر والقرآن وأنشد

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
فكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم

(ومن أحسن ما قيل في اللسان والبراعة قول ابراهيم بن شاه في أبي مسلم)

لسان محمد أمضى غرارا * وأنفذ من ظبا السيف الحسام
اذا ارتجل الكلام بدا خليج * بغيبه عده بحر الكلام
كلام بل مدام بل نظام * من الياقوت بل حب الغمام

وقال آخر
وما المرء الا أصغراه لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان نظرة رقتك فاحذر فرعا * أمر مذاق العود والعود أخضر

(اعلم) ان كمال العالم هو الانسان وكمال الانسان هو اللسان وجماله هو البيان (نظر) رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه العباس رضي الله عنه فتبسم فقال له مم ضحكت يا رسول الله فقال أعجبني جمالك يا عم فقال أين موضع الجمال مني فأشار الى لسانه وقال أيضا عليه الصلاة والسلام جمال الرجل فصاحة لسانه

﴿ باب ذم اللسان ﴾

(كان) يقال مقتل الرجل بين فكيه وقال بعض البلغاء اللسان أجرح جوارح الانسان وقال آخر اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم (وكان) ابن مسعود رضي الله عنه يقول والذي لا اله الا هو ما على الأرض شيء أحق بطول السجن من اللسان (قال) بعض العرب لرجل وهو يعظه في حفظ اللسان اياك أن يضرب لسانك عنقك

وقد قيل
احذر لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الفرسان

﴿ وقال أبو محمد بن اليزيدي ﴾

حتف الفتى لسانه * في جده ولعبه بين اللهاة مسكنه * ركب في مركبه

وقال آخر
جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

(وقال ابن المعتز) أيارب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أصحابها
وكم قد دهى المرء من نفسه * فلا تؤكلن بأنيابها

(ومن أبلغ ماقيل فى عى اللسان قول بعضهم)

بين فكيه لسان * ينسب العى اليه فاذا حاول قولا * عسر القول لديه
وسواء هو فيه * أو حسام فى يديه

(باب مدح الصمت)

من حكم لقمان رحمة الله عليه الصمت حكمة وقليل فاعله (وكان) يقال الصمت أنفع للناس والسكون أنفع للطير لأن الطير اذا انبش قبض وحبس (وقال) بعض السلف الندم على الصمت خير من الندم على القول * ومن فصول ابن المعتز من أضافه الكلام أجاره الصمت وقال أيضا الخطأ بالصمت يختم والخطل بمثله لا يكتم (وقال آخر)

الصمت يكسب أهله * صدق المودة والمحبه * والقول يستدعى لصا
حبه المذمة والمسبه * فاترك كلاما لاغيا * ولا يكن لك فيه رغبه

(وقيل) أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رميت عن قوس واحدة * قال كسرى لم أندم على مالم أقل وندمت على ماقلت مرارا وقال قيصر انى على رد مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت * وقال ملك الصين اذا تكلمت بكلمة ملكتنى واذا لم أتكلم بها ملكتها * وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترفع مانفعته ويقال من سكت فسلم كان كمن تكلم فغنم (ويقال) من علامات العاقل حسن سمته وطول صمته (وقال) بعض الحكماء أول العلم الصمت والثانى حسن الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره وقيل من حفظ لسانه نجا من الشركاه

(نظم) ولو يكون القول فى القياس * من فضة بيضاء عند الناس
اذا لكان الصمت من خير الذهب * فاسمع هداك الله تخليص الادب

(وقال آخر) والصمت عندا قبيح تبعه * صاحب صدق لكل مصطحب
فالزم الصمت مااستطعت فقد * يؤثر قول الحكيم فى الكتب
لو كان بعض الكلام من ورق * لكان جل السكوت من ذهب

وقال آخر

مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام انما العاقل من ألجم فاه بلجام

(وفى كتاب عيون الآداب بيت)

كلام راعي الكلام قوت * قد أفلح الصامت السكوت

(وقال) ابن مسعود ما شيء أحق بطول السجن من اللسان (وقال) بعضهم اذا أعجبك الكلام فاصمت وقيل احفظ لسانك ان اللسان * سريع الى المرء في قتله

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

(وقال آخر) ان كان يعجبك السكوت فانه * قد كان يعجب قبلك الاخيارا

ولئن ندمت على سكوت مرة * فلقد ندمت على الكلام مرارا

ان السكوت سلامة ولربما * زرع الكلام عداوة وضرارا

(باب ذم الصمت)

قال رجل بين يدي عمر رضي الله عنه الصمت مفتاح السلامة فقال نعم ولكنه قفل الفهم وكان يقال من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن (وقال) بعض الفلاسفة الصمت نتيجة الموت كما أن المنطق نتيجة الحياة (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم تكلموا تعرفوا ولم يقل اسكتوا تعرفوا (وقال) الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وعن الملك فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل فلما سكت عنده (وقال آخر) أخزى الله المساكتة فما أسوأ أثرها على اللسان وأجلبها للعي والحصر الى الانسان وقال بعض الحكماء انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شيء فهو أفضل ويقال اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن

(باب مدح الصبر)

قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤت الناس خيرا من الصبر والمعافاة (وقال) أيضا عليه السلام لم نزل نستزيد للصابرين حتى نزلت انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وقال) عليه السلام عليكم بالصبر فانه لا ايمان لمن لا صبر له (وقال) أيضا الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية شعر

تصبر ولا تبد التضعضع للعدا * ولو قطعت في الجسم منك البواتر

سرور الاعادي ان تراك بذلة * ولكنها تغتم اذ أنت صابر

ولبعضهم بنى الله للاخيار بيتا سماؤه * هموم وأحزان وحيطانه الضر

وأدخلهم فيه وأغلق بابه * وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

وكان ينشد اني وجدت وخير القول أصدقه * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد في أمر يحاوله * فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وقال آخر   عليك بالصبر فيما قدمنيت به * فالصبر يذهب ما في الصدر من حرج
كم ليلة من غموم الدهر مظلمة * قد ضاء من بعدها صبح من الفرج
وقال آخر   تصبر اذا ما المتلك ملمة * وأهون بها ما لم تسمك بعار
فغب قطوب النحس بشر سعادة * وبعد ظلام الليل نور نهار

وفي بعض الاخبار الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقال آخر

اذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه * تنقطع من أسبابه كل مبرم

ويقال أوكد الاسباب للظفر الصبر (وقال) بعض العلماء الصبر جنة المؤمن وعزيمة المتوكل وسبب درك النجح في الحوائج ويقال من وطن نفسه على الصبر لم يجد للاذى مسا (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من استعف بالله عفه ومن استعان به أعانه ولن تجدوا حظا خيرا من الصبر (وقال الشاعر)

قرين الصبر يظفر بعد حين * بحاجته فيوجد قد قضاها

(وقال) المهلب يا بني ان غلبتم على الظفر فلا تغلبوا على الصبر
(وقال آخر)   من يعتط الصبر يضع رحله * بساحة الراحة واليسر
(وقال محمود)   الصبر أمضى سلاح ذي الادب * فاقمع به حد سورة الارب

(وقال) الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (وقال) عز اسمه وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (وقال) عز من قائل وبشر الصابرين الآية وكان الحسن البصري يقول اني لاعجب ممن خف كيف خف بعد هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا (وقال) عمر بن عبد العزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فنزعها عنه فصبر الا كان ما أعاضه أفضل مما انتزعه عنه ثم قرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وقال) بعض الحكماء الصبر صبران صبر عما تحب وصبر على ما تكره والرجل من جمع بينهما وقالت في المبهج الصبر أحجى بذي الحجى (وقال) حكيم تابع الصبر متبوع النصر (وقال الشاعر)

ما أحسن الصبر في مواطنه * والصبر في كل موطن حسن

(وقال ابن الجهم)

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ويقال الصبر كاسمه وعاقبته العسل

(باب ذم الصبر)

الصبر كاسمه ويقال الصبر تجرع الغصة وانتظار الفرصة وأنشد

وانى لأدرى أن فى الصبر راحة * ولكن انفاقى على الصبر من عمرى
يقولون لى صبرا لحمد غبه * فقلت لهم ليس الصبر من أمرى

وقال البرقعى

من حمد الصبر وحالاته * فلست بالحامد للصبر
كم جرعة للصبر جرعتها * أمر فى الذوق من الصبر
صبرت حتى قيل لى جاهل * لا يعرف الخير من الشر
انى اذا الدهر نبا نبوة * أصبر للدهر من الدهر

(وقال أبو القاسم بن علاء الاصفهانى)

فان قيل لى صبرا فلا صبر للذى * غدا بيد الايام تقتله صبرا
وان قيل لى عذرا فوالله ما أرى * لمن ملك الدنيا اذا لم يجد عذرا

(باب مدح الحلم)

كان يقال الحلم حجاب الآفات (وقال) حكيم حلم ساعة يرد سبعين آفة (وقال) بعض السلف الحلم أجل من العقل لان الله تعالى وصف نفسه به وقيل حسب الحليم ان الناس أنصاره على الجاهل ومن ملك غضبه احترز من عدوه (وقال) الحسن رحمة الله عليه ما بعث الله نبيا الى قوم الا بعثه وأمره بالحلم وكان الاحنف يقول ما أضيف شئ الى شئ أحسن من علم الى حلم (وكان) يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات

(ومن أحسن ما قيل فى الحلم قول الشاعر)

لن يبلغ المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مشرقة * لا عفو ذل ولكن عفو احلام

(باب ذم الحلم)

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه (وقال) بعض السلف الحلم ذل كله (وقال) السفاح اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر

أرى الحلم فى بعض المواطن ذلة * وفى بعضها عزا يسود فاعله

وقاتل الاحنف قتالا شديدا فى بعض المواطن فقيل له أين الحلم يا أبا بحر فقال عند الحياء وكان يقال آفة الحلم الضعف * ومن أحسن ما قيل فى هذا الباب قول النابغة الجعدى

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * أديب اذا ما أورد الامر أصدرا

(وقال محمد بن وهب)

لئن كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فانى مقوّم * ومن رام تعويجي فانى معوّج

وأحسن ما سمعت فى هذا الباب ما قيل

أتانى منك ما ليس * على مكروهه صبر * فأغضيت على عمد
وقد يغضى الفتى الحر * وأدبتك بالهجر * فما أدبك الهجر
ولا ردك عما كا * ن منك الصفح والزجر * فما اضطرنى المكرو
ه واشتد بى الامر * تناولتك من سرى * بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل * للمسك الضر * اذا لم يصلح الخير امرأ أصلحه الشر

قد شذ فى الاصل منه بيت قال الشيخ الامام البيت الاخير من قول الحسن وهو أنه قيل له ان عندنا رجلا اذا قيل له جزاك الله خيرا يغضب فقال من لا يصلحه الخير أصلحه الشر

باب مدح المشورة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء سكت (وقال) عليه الصلاة والسلام أيضا المستشار مؤتمن (وقال) الحسن البصرى ان الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بالمشورة لا من حاجة منه الى آرائهم وانما أراد عز اسمه أن يعلمنا ما فى المشورة من الفضيلة حيث قال وشاورهم فى الامر يعني ان الانسان لا يستغني عن مشورة نصيح له كما أن القوادم من ريش الجناح تستعين بالخوافى منه (قال بشار)

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * بحزم نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافى تابع للقوادم

(قال الاصمعى) قلت لبشار رأيت رجال الرأى يتعجبون من أبياتك فى المشورة فقال أوما علمت أن المشاور بين احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه فقلت له أنت والله فى هذا الكلام أشعر منك فى شعرك (وقال) الجاحظ المشورة لقاح العقول ورائد الصواب والمستشير على طرف النجاح واستنارة المرء برأى أخيه من عزم الامور وحزم التدبير وقد أمر الله تعالى أكمل الخلق لبا وأولاهم بالاصابة عزما فقال لرسوله الكريم عليه السلام فى كتابه الكريم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (وقال) حكيم اذا شاورت العاقل صار عقله لك * ويقال

أول الحزم المشورة (وقال) العتابي المشورة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه (وقال) ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب لغيرك (وقال) أيضا من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا وقلت في البهجة ثمرة رأي الاديب المشير أحلى من رأي المشور (ولبعضهم) لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا الغضبان حتى يهجع ولا الاسير حتى يطلق ولا المضل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح (وقال) بعض الحكماء ما خاب من استشار ولا ندم من استخار (وقال) صالح بن عبد القدوس

ومن الرجال من استوت أحلامهم * من يستشار اذا استشير فيطلق
حتى يجول بكل واد قلبه * فيرى الصواب بما يشير فينطق
ان الاديب اذا تفكر لم يكد * يخفى عليه من الامور الاوفق
فهناك تشعب ما تفاقم صدعه * وبذاك ترتق كل أمر يفتق
واذا استشرت ذوي العقول لخيرهم * عند المشورة من يحن ويشفق

(وكان) يقال نصف عقلك مع أخيك فاستشره (وكان) يقال ما استنبط الصواب بمثل المشورة ولا خصبت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر (وكان) يقال لا يستقيم الملك بالشركاء ولا يستقيم الرأي بالتفرد به (وقيل) شاور وقيل أن تقدم (وقال) عبد الملك بن مروان لان اخطئ وقد استشرت أحب الي من أن أصيب وقد استبددت برأيي من غير مشورة (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لا تقطعن أمرا حتى تشاور مرشدا فانك اذا فعلت ذلك لم تحزن عليه (وقيل) للنبي عليه الصلاة والسلام ما الحزم قال أن تستشير ذا الرأي وتطيع أمره (وقال) عليه الصلاة والسلام لم يهلك امرؤ عن مشورة (وقيل) مكتوب في التوراة من ملك استأثر ومن لم يستشر يندم والحاجة الموت الاكبر والهم نصف الهرم (وقال) الشاعر

نصحت لذي جهل وقلت لعله * بنصحي له من نومه يتنبه
فما نجعت فيه النصائح منجعا * وهل يبرئ الكهان من هو أكمه

باب ذم المشورة

كان عبد الملك بن صالح يقول ما استشرت أحدا قط الا تكبر علي وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة فاياك والمشاورة وان ضاقت بك المذاهب واشتبهت عليك المسارب وأداك فرط الاستبداد الى الخطأ والفساد (وكان) عبد الله بن طاهر يقول ما حك ظهري مثل ظفري ولان أخطئ مع الاستبداد ألف خطأ أحب الي من

أن أرى بعين النقص عند المستشار

باب مدح التأني

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية يعني فتثبتوا وهو أبين وقال حكيم ينبغي للوالي أن يتثبت فيما أنهي اليه ولا يتعجل ويتأنى ويتمهل حتى ينظر ويستكشف الحال ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام حيث قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين وفي الخبر التأني من الله والعجلة من الشيطان ويقال الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقيل التأني مع الخيبة خير من العجلة مع النجاح (وقال) آخر التأني في الامور أول الحزم والتسرع اليها عين الجهل وقال النابغة

الرفق يمن والاناة سعادة * فتأن في أمر تلاق نجاحا

وقال القطامي قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(ويقال) اشد تصب أو تكد يعني ارفق لتدرك الصواب أو تقرب أن تدركه (قال) النبي عليه الصلاة والسلام من تأنى أصاب أو كاد ومن تعجل أخطأ أو كاد

باب ذم التأني

كان يقال اياكم والتأني في الامور فان الفرص تمر مر السحاب (وقال) ابن عائشة القرشي الفلك أجدر من أن يحتمل معه التاني والتثبت وخير الخير أعجله (ويقال) الآفات في التأخيرات (وقيل) لابي العيناء لا تعجل فان العجلة من الشيطان فقال لو كانت العجلة من الشيطان لما قال كليم الله عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى (وقال) القطامي بعد قوله قد يدرك المتأني البيت

وربما فات قوما بعض نجحهم * من التأني وكان الحزم لو عجلوا

(وأحسن منه قول ابن الرومي)

عيب الأناة وان كانت مباركة * ان لا خلود وان ليس الفتى الحجر

وقال ابن المعتز وان فرصة أمكنت في العدى * فلا تبد فعلك الا بها

فان لم تلج بابها مسرعا * أتاك عدوك من بابها

واياك من ندم بعدها * وتأميل أخرى وأنى بها

وقال محمد بن بشير

كم من مضيع فرصة قد أمكنت * لغد وليس غد له بمواتي

حتى اذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات

﴿باب مدح الوحدة والعزلة﴾

كان يقال الوحدة خير من جليس السوء (ويقال) العزلة من الناس تقي العرض وتبقي الجلالة وتستر الفاقة وترفع مؤنة المكافأة في الحقوق الواجبة (وقال) الشاعر

كن لقعر البيت جلسا * وارض بالوحدة أنسا
لست بالواجد خلا * أو ترد اليوم أمسا

(وأنشدني) ميمون بن سهل الواسطي قال أنشدني القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه

ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت في وحدتي لكتبي جليسا
انما الذل في مداخلة النا س فدعها وكن كريما رئيسا
ليس عندي شيء أجل من العلم فلا أبتغي سواه أنيسا

(وقال) مكحول ان كان الفضل في الجماعة فان السلامة في الوحدة والعزلة * ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول منصور بن اسمعيل المصري

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه
وقد نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

(ولبعضهم)
الناس داء دفين * لا تركنن اليهم
فيهم خداع ومكر * لو اطلعت عليهم

(وأنشدني) البستي لأبي سليمان الخطابي

قد أولع الناس بالتلاقي * والمرء صب الى مناه
وانما منهم صديقي * من لا يراني ولا أراه

وله أيضا
اذا خلوت صفا ذهني وعارضني * خواطر كطراز البرق في الظلم
فان توالى صياح الناعقين على * اذني عرتني منه حكلة العجم

(ومن) أحسن ما قيل في الانفراد قول أبي هيان

ان أمس منفردا فالليث منفرد * والبدر منفرد والسيف منفرد

(وقلت) في المبهج من لزم الخلوة بربه حصل في العيش الامتع والحمى الامنع (وقال) أبو العتاهية

وحدة الانسان خير * من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

﴿باب ذم الوحدة﴾

قيل الوحدة وحشة والوحدة قبر الحى (وفى) الخبر الشيطان مع الواحد وهو عن الاثنين أبعد و يد الله مع الجماعة (ولحاتم الطائى وهو عما يتمثل به)

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(و يقال) اياكم والعزلة فان فى لقاء الناس معتبرا نافعا ومتعظا واسعا ومجالسة الناس تجلو البصر وتطرد الفكر (ويقال) الانقباض من الناس مكسبة للعداوة (وقال) بعض الحكماء اياكم والخلوات فانها تفسد العقول وتحل المعقود وتعقد المحلول (وقال) آخر البيت رمس مالزمته والهم زمانة ماسلطته ولابى تمام فى معناه بعينه

ورأ كدا الهم كالزمانة والبيت اذا لزمته رمس

﴿باب مدح الشجاعة﴾

فى الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب (وكتب) أنوشروان الى وكلائه عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فانهم أهل حسن الظن بالله تعالى (وكان) يقال الشجاع موقى والجبان ملقى (ويقال) الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه وقال بعض الحكماء قوة النفس أبلغ من قوة الجسد (وقال) الشاعر

يفر الجبان من أبيه وأمه * ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

(ولما قال أبو الطيب المتنبى)

يرى الجبناء ان العجز عقل * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكل شجاعة فى المرء تغنى * ولا مثل الشجاعة فى الحكيم

قيل له أنى يكون الشجاع حكيما وهما على طرفى نقيض قال هذا على بن أبى طالب رضى الله عنه (وكان يقال) خيفة العاقبة تورث جبنا والشجاعة حسن الظن وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه يقول ماليلة أقر لعينى من ليلة يهدى الى فيها عروس الا ليلة أغدو فيها القتال العدو (وكان) حصين بن المنذر صاحب راية أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول ابتذال الانفس فى الحرب أبقى لها اذا أخر فى الآجال (وقيل) لعباد بن الحصين فى أى جنة تحب أن تلقى عدوك قال فى أجل مستأخر (وكان يقال) ان بنى هاشم شجعان قريش واسخياء قريش أجمع أهل الاسلام على انه لم يكن فارس فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع من على بن أبى طالب رضى الله عنه (وقيل) لا يصدق فى القتال الا ثلاثة مستنصر فى دين أو غيران على النساء أو ممتعض من ذل

﴿باب ذم الشجاعة﴾

قيل

قيل انه روى عن شيخ كبير وقد تأخر عن الصف فى الحرب واستعد للهرب فقيل له
تراك غير شجاع فقال لو كنت شجاعا ما بلغت هذا السن (وقيل) ما فى الدنيا شجاع
الا متهور ولا جبان الا متحرز (وقال) بعض الجبناء من أراد السلامة فليدع
الشجاعة وقال آخر يقال فر أخزاه الله خير من قتل رحمه الله هو كقولهم رهبوت خير
من رحموت (ويقال) الفرار فى وقته ظفر وقال محمد بن أبى حمزة العقيلى مولى الانصار

ظلت تشجعنى هند وقد علمت * ان الشجاعة مقرون بها العطب
يا هند لا والذى حج الحجيج له * لا يشتهى الموت عندى من له أدب

وهذا أحسن ما قيل فى مدح الجبن وقال بعضهم الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح
البؤس

(باب مدح الجود)

فى الخبر ان الله تبارك وتعالى يحب الجواد لانه جواد كريم (وفيه) أيضا الجود من
أخلاق أهل الجنة ويقال الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود (وقال) غيره الجود أن
تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا (وقال) على بن عبد الله الناس فى الدنيا
الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء وكان خالد بن عبد الله القشيرى يقول تنافسوا فى المغانم
وسارعوا الى المكارم واكتسبوا بالجود حمدا ولا تكتسبوا بالمال ذما ولا تعدوا بمعروف
لم تجعلوه واعلموا أن حوائج الناس نعمة من الله عليكم فلا تملوها فتعود نقما وقال الشاعر

لا تزهدن فى اصطناع العرف تفعله * ان الذى يحرم المعروف محروم

(وقال آخر) من غير الكتاب الاصلى

ستلقى الذى قدمت للنفس محضرا * فأنت بما تأتى من الخير أسعد

(وقال) طلحة بن عبد الله انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نصبر (وقال) العتابى من
منع الجد ماله ورثه من لا يحمده عليه وكان يقال رب فاجر فى دينه أخرق فى معيشته
دخل الجنة بسماحته (وقال) العتابى ثواب الجود ثلاثة خلف ومحبة ومكافأة وثواب
البخل مثلها تلف ومذمة وحرمان (وكتب) الحسن بن على الى أخيه رضى الله عنهم
يعتب عليه فى اعطاء الشعراء فأجابه خير المال ما وقى به العرض (وقال) غيره الجود
أشرف الاخلاق وأنفس الاعلاق (وقال) ابن المعتز الجود حارس العرض من الذم
(وقال) آخر الاسخياء يعبدهم المال والبخلاء يعبدونه (وقال) بعض السلف لو كان
شئ يشبه الربوبية لقلت الجود (ويقال) من جاد ساد ومن بخل رذل (وقال) عمر رضى
الله عنه السيد الجواد حين يسأل وقال أبو نواس

أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك

(ولبعضهم) ياغافلا عن حركات الفلك * نبهك الله فما أغفلك
مالك للغير اذا صنته * وكل ما أنفقته فهو لك

ولسيدنا عمر بن عبد العزيز لما لاموه على الكرم

مالى على حرام ان بخلت به * وصاحب البخل بين الناس مذموم
مالى أشح بمال لست أملكه * والمال بعدى اذا امامت مقسوم
لا بارك الله فى مال أخلفه * للوارثين وعرضى فيه مشتوم

﴿ولبعضهم﴾

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات فى أثرهم تلك الكرامات
وخلفونى فى قوم ذوى سفه * لو عاينوا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

(وفى) كتاب عيون الآداب روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أشد الاعمال ثلاثة انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخ فى مالك وذكر الله على كل حال (وقال) بعض العلماء من أيقن بالخلف جاد بالعطية أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأسارى فأمر بقتلهم وأفرد رجلا منهم فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا أفرد من بينهم فقال نزل على جبريل عليه السلام فقال أقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه (وقال) بعض الانبياء لابليس من أحب الناس اليك قال عابد بخيل قال فمن أبغض الناس اليك فقال فاسق سخى قال كيف ذلك قال لانى لا أرجو أن يقبل الله عبادته لبخله ولا آمن أن يطلع الله على العبد الفاسق فيرى بعض سخائه فيحبه ويرحمه

﴿باب ذم الجود﴾

قال بعض الحكماء من جاد بماله جاد بنفسه لانه جاد بما لا قوام له الا به (وكان) أبو الاسود الدؤلى يقول لا تجاودوا الله فانه أجود وأمجد ولو شاء ان يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل (وكان) يقول لو جدنا على المساكين باعطائهم ما يسألوننا لكنا أسوأ حالا منهم وكان على بن الجهم يقول من وهب المال فى عمله فهو أحمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه من جوائز سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول ومن وهبه من كسبه وما استفاده بحيلة فهو المطبوع على قلبه (وقال) محمد ابن الجهم اتركوا الجود للملوك فانه لا يليق الا بهم ولا يصلح الا لهم ومن عارضهم فى ذلك

افتقر وافتضح فلا يلومن الا نفسه (وكان) ابن المقفع يقول ان مالك لا يعم الناس فاخصص به ذوى الحق (ومن) أحسن ما قيل فى تحسين البخل قول ابن المعتز

يارب جود جر فقر امرئ * فقام فى الناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

وقول أبى الفتح البستى

اشفق على الدرهم والعين * تسلم من الغيبة والدين
قوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(وقول) عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

فى كل شئ سرف * يكره حتى فى الكرم ولربما ألفان لا * أفضل من ألفى نعم

(وكان) الكندى يقول قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم

﴿باب مدح البخل﴾

من أمثال العرب الشحيح عذر من الظالم (ومن) أمثال العجم منع الجميع أرضى للجميع (وقال) بعضهم عجبت لمن سمى القصد بخلا وسمى السرف جودا وقال آخر حفظ ما فى يدك خير من طلب الفضل من أيدى الناس (وقال) صالح بن عبد القدوس

لا تجد بالعطاء فى غير حق * ليس فى منع غير ذى الحق بخل

وقال آخر اذا قبح السؤال حسن المنع وقال المتلمس

لحفظ المال خير من عطاه * وسعى فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(ومما) يليق بهذا الباب قول الله تعالى لنبيه من لطف العتاب ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

﴿باب ذم البخل﴾

قال الشعبى ما أفلح بخيل قط أما سمعتم قول الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبى بلغنى انك متلاف فقال يا أمير المؤمنين منع الجود سوء ظن بالمعبود وهو تعالى يقول وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويقال البخيل أبدا ذليل ويقال لا مروأة لبخيل ويقال شر أخلاق الرجال البخل والجبن وهما من أخلاق النساء (وقال) الجاحظ البخل والجبن غريزة واحدة يجمعها سوء الظن بالله وقال غيره البخل يهدم مبانى الكرم (وقال) ابن المعتز بشر مال

البخيل بحادث أو وارث وقال أيضا أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه وقال الشاعر

وغيظ البخيل على من يجود * لأعجب عندى من بخله

ومن أمثال العرب هو يحسد ان يفضل ويزهد ان يفضل (ومن) قولهم هو يمنع دره ودر غيره ويحسد أن يعطى ويزهد أن يعطى وقال بعض الشعراء

ليس البخيل باخلا بخيره * لكن من من بخير غيره

وقال الشاعر لا يسود امرؤ بخيل ولو * مس بيافوخه عنان السما

(وقال) بعض السلف لو لم ينطق القرآن فى ذم البخيل الا بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة لكفى وهو أبلغ البلاغ فى تهجينه وأنهى النهى عن ايثاره (وقال) الله تعالى فيمن يبخل ويأمر بالبخل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله قال ابن مسعود فى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يطوق بثعبان فينقر رأسه ثم ينطوى فى عنقه فيقول أنا مالك الذى بخلت بى وقال بعضهم قد ذم الله من يمنع خيره ويأمر بالبخل غيره فاياك أن تكون اياه

باب مدح الحقد

قال يحيى بن خالد البرمكى لعبد الملك بن صالح الهاشمى فى كلام جرى بينهما أنت حقود فقال ان كنت تريد بقاء الخير والشر عندى فأنا كذلك (ويقال) انه قال له أنا خزانة تجمع الخير والشر فقال يحيى هذا والله جبل قريش وما رأيت أحدا يمدح الحقد ويحسنه غيره بمثل هذا (وقد) أخذ معناه ابن الرومى وزاد فيه وحسنه فقال

وما الحقد الا توأم الشكر للفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعض

اذا الارض أدت كل ما أنت زارع * من البذر فيها فهى ناهيك من أرض

باب ذم الحقد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الذنوب عند الله الحسد والحاسد مضاد لنعمة الله خارج عن أمر الله تارك لعهد الله (وقال) عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد وأمر رسول الله ان يستعيذ به من شره (وقال) معاوية رضى الله عنه كل انسان أقدر ان أرضيه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها (وقال) عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد غم دائم ونفس متتابع (وقال) الشاعر

ان الحسود الظلوم فى كرب * يخاله من يراه مظلوما

من نفس دائم على نفس * يظهر منه ما كان مكتوما

قال الشيخ الامام أنشدني أبو منصور القوشنجي لنفسه في هذا المعنى

قالوا يقود سعيد * جيشا لهم ويسود * وكيف ذاك واني
وهو الحقود الحسود * ولا يسود حسود * ولا يقود حقود

كان يقال الحقد داء دوى (ويقال) من كثر حقده دوى قلبه ويقال الحقد مفتاح كل شر ويقال حل عقد الحقد ينتظم لك عقد الود ويقال الحقود والحسود لا يسودان وقال آخر

لما عفوت ولم أحقد على أحد * أرحت نفسي من غم العداوات

(ويقال) لا يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا الحر حريصا ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان (وقال) بعض الحكماء وجدت أول الاشياء منفعة وأضرها في العاقبة الحاجة ووجدت أنكر العيش عيش الحسود (وقال) الشاعر

لا يحزننك فقران عراك ولا * تتبع أخاك في ماله حسدا
فانه في رخاء في معيشته * وأنت تلقى بذاك الهم والنكدا

(وقال آخر)

اذا ما المرء كان لنا حسودا * فأف لذاك من باغ حسود

﴿باب مدح الحياء﴾

مما أدركه الناس من كلام النبوة الحياء شعبة من الايمان وفيه أيضا الحياء خير كله فاذا لم تستح فافعل ما شئت (وقال) الشاعر

اذا لم تخش عاقبة الليالي * ولم تستحي فافعل ما تشاء
فلا وأبيك ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وفي) الخبر ان الله يحب الحيي المتعفف ويبغض الوقح الملحف (وقال) الحكيم الحياء سبب كل جميل (ويقال) من كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه (ويقال) الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ارتفع أحدهما ارتفع الآخر (وقيل) لبنت ارسطاطاليس ما أحسن ما في المرأة قالت الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء (وقال) بعضهم أكثر الناس حياء من كان الذم أشد عليه من الفقر

﴿باب ذم الحياء﴾

كان يقال الحياء يمنع الرزق (وفي أمثال العامة) من استحيا من ابنة عمه لم يولد له في الآخرة وقال علي رضي الله عنه قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان (وقال) بعض المجربين استعينوا على قضاء حوائجكم بالوقاحة والابرام (وقال) غيره هذا زمان نكد عسير

ليس الوقع المبرم ينجع فيه فكيف الحي المخفف (ويروى) هذا زمان نكد لا ينجع فيه الواقع المتكفف فكيف الحي المتعفف وقال الشاعر

ليس للحاجات الا * من له وجه وقاح ولسان ذو فضول * وغدو ورواح

ومن غير الاصل ما أملاه الشيخ الامام المقدسي من مسموعاته الى آخر الباب (وقال) أبو القاسم الحريش

سألت زماني وهو بالجهل عالم * وبالسخف مهتز وبالنقص مختص
فقلت له كيف الطريق الى الغنى * فقال طريقان الوقاحة والنقص

(ومما) سمع منه أيضا قال الوقاحة كالقداحة بها يستغزر اللهب ويشتعل الحطب

﴿باب مدح الاخوان والاصحاب﴾

في الخبر المرء كثير بأخيه ويقال الرجل بلا اخوان كالشمال بلا يمين ويقال من اتخذ اخوانا كانوا له أعوانا وقيل أعجز الناس من فرط في طلب الاخوان وأعجز منهم من ضيع من ظفر به منهم (وقال) المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك (وقال) شبيب بن شيبة عليك بالاخوان فانهم زينة في الرخاء وعدة عند البلاء وقال الشاعر

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم * عماد اذا استنجدتهم وظهير
وما بكثير ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال اسمعيل بن صبيح الود أعطف من الرحم وقال العتبي لقاء الاخوان نزهة القلوب (وقال) ابن عائشة القرشي مجالسة الاخوان مسلاة للاحزان وقال سعيد بن مسلم ان في لقاء الاخوان لغنما وان قل وقال سليم بن وهب غزل المودة أرق من غزل الصبابة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق (وقال) يونس النحوي يستحسن الصبر عن كل احد الا عن الصديق وقال محمد بن يوسف من أكثر من أصدقائه ركب أعناق أعدائه وقال القطامي

واذا اتصبك من الحوادث محنة * فالجأ بها نحو الصديق الاوثق

وقال السندي الصديق انسان هو أنت الا انه غيرك وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء وطبقة كالدواء وطبقة كالداء فالغذاء لا يستغنى عنه أبدا والدواء يحتاج اليه أحيانا والداء لا يحتاج اليه بحال وقال ابن المغيرة اذا قدمت المودة تشبهت بالقرابة وقال الشاعر

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكن اخوان الثقاة الذخائر

وقال

(وقال أبو تمام) ذو الود منى وذو القربى بمنزلة * واخوتى اسوة عندى واخوانى
عصابة جاورت آدابهم أدبى * فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى
أرواحنا فى مكان واحد وغدت * أبداننا بشآم أو خراسان

وقلت فى المبهج الصديق الصدوق ثانى النفس وثالث العينين ومنه الصديق الصدوق كالشقيق الشفوق ومنه الصديق عدة الصديق وعدته ونصرته وعقدته وربيعه وزهرته ومشتريه وزهرته ومنه قربة الوداد أقرب من لحمة الولاد ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل (ومنه) ليس للصديق اذا حضر عديل ولا عنه اذا غاب بديل ومنه مثل الصديقين كاليد تستعين باليد والعين تستعين بالعين (ومنه) لقاء الصديق روح الحياة وفراقه سم الحياة ومنه لا تساغ مرارة الاوقات الا بحلاوة الاخوان الثقات (ومنه) استروح من غمة الزمان بمناسمة الخلان ومنه الحاجة الى الأخ المعين كالحاجة الى الماء المعين ولبعضهم فى معنى هذا الباب

ماضاع من كان له صاحب * يقدر أن يصلح من شأنه
فانما الدنيا بسكانها * وانما المرء باخوانه

باب ذم الاخوان

كان عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعنى فى قضاء الحقوق وقال عمر بن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال ابراهيم بن العباس مثل الاخوان كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار (وقال) الكندى لابنه يا بنى الاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم منعوك واذا احتاجوا اليك ثلبوك وسلبوك وكان بعضهم يقول فى دعائه اللهم أجرنى من أصدقائى فاذا قيل له فى ذلك قال أقدر على الاحتراس من أعدائى ولا أقدر على الاحتراس من أصدقائى وقال ابن المعتز أصدقاء السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا وقال أيضا انما تطيب الدنيا بمساعدة الاخوان وينتفع بهم فى كافة الاحوال والا فعلى الصداقة الدمار وما أرجوه منها اذا كانت تنقطع فى الآخرة ولا تتصل بما أحب فى الدنيا وقال أبو العتاهية

أنت ما استغنيت عن * صاحبك الدهر أخوه
فاذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه

وقال ابراهيم بن العباس

ذهب الزمان زمانى ، الشأن فى الاخوان * فمن زمانى لما * رأى الزمان رمانى
لو قيل لى خذ أمانا * من أعظم الحدثان * لما طلبت أمانا * الا من الاخوان

(وقال ابن الرومي)

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وللامام الشافعي رضي الله عنه

صديقك من يعادي من تعادي * بطول الدهر ما سجع الحمام
ويوفي الدين عنك بغير مطل * ولا يمنن به أبدا دوام
فان صافى صديقك من تعادي * ويفرح حين ترشقك السهام
فذاك هو العدو بغير شك * تجنبه فصحبته حرام
فانا قد سمعنا بيت شعر * شبيه الدر زينه النظام
اذا وافى صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام

ولبعضهم وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة * فان عرضت أيقنت ان لا أخا ليا

(وقال ابن المعتز)

وأفردني عن الاخوان علمي * بهم فبقيت مهجور النواحي
اذا ما قل وفري قل مدحي * فان أثريت عادوا في امتداحي
فكم ذم لهم في جنب مدح * وجد بين اثناء المزاح

وقال آخر آخ من شئت ثم رم منه شيأ * تلق من دون ما أردت الثريا

(وللمتنبي) صديقك أنت لا من قلت خلي * وان كثر التجمل والكلام

ومن غير الكتاب احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق * فكان أخبر بالمضره

وقال آخر ألا ان اخواني الذين عهدتم * أفاعي رمال ما تقصر في لسعي
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم * حللت بواد منهم غير ذي زرع

ولبعضهم صديق يغدينا اذا كان حاضرا * ويوسعنا في حال غيبته لسعا
له لطف قول دونه كل رقية * ولكنه في فعله حية تسعى

(باب مدح المزاح)

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكان العباس رضي الله عنه يقول مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار المزح سنة ومن مزاحه عليه الصلاة والسلام أنه كسا امرأة من نسائه ثوبا فقال ألبسيه واحمدي الله وجري ثوب العروس وقيل

لسفيان بن عيينة المزاح هجنة فقال بل سنة ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه وكان علي رضي الله عنه فيه دعابة وكان يقال المزح في الكلام كالملح في الطعام وقد نظمه أبو الفتح البستي فقال

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * قليلا وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

ويقال الافراط في المزح مجون والاقتصاد فيه ظرافة والتقصير فيه ندامة وقال عطاء ابن السائب كان سعيد بن جبير لا يقص علينا الا أبكانا بوعظه ولا يقوم من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه وقال المتنبي

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه * لعلمي انه بعض الانام
يحب العاقلين على التصافي * وحب الجاهلين على الوسام

﴿باب ذم المزاح﴾

(قال) بعض حكماء العرب المزاح يذهب المهابة ويورث الضغينة والمهانة (وقال) بعضهم المزاح سباب النوكى (وقال) بعضهم المزاح هو السباب الاصغر (وقال) آخر المزاح يجلب الشر صغيره والحرب كبيره وقال آخر لو كان المزاح فحلا لم ينتج الا شرا (ويقال) المزاح أوله فرح وآخره ترح وخير المزاح لا ينال وشره لا يقال وقل مزاح لم يحدث شرا أو ضغينة وقال ابن المعتز المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب (وقال أيضا) من كثر مزاحه لم يزل في استخفاف به وحقد عليه وقال أيضا رب مزح في عوده جد وقال أبو نواس

قد صار في الناس جدا ما مزحت به * كم مازح صار بين الناس مذموما

(وقال) أيضا آية نار قدح القادح وأي جد بلغ المازح (ويقال) لكل شيء بدء وبدء العداوة المزاح (وقال) سالم بن قتيبة لاهل بيته لا تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدق أخلاقكم (وقال) الاحنف من كثر مزاحه ذهبت هيبته ومن كثر ضحكه استخف به (وقال الشاعر)

أما المزاح والمراء فدعهما * خلقان لا أرضاهما الصديق

(وقال آخر) ان المزاح للجلال مسلبه * والضحك أيضا للبهاء مذهبه

(وقال آخر) ان المزاح يورث الضغينه * ويحمل ضغن في الحشا مؤنه

﴿باب مدح العتاب﴾

قال بعض البلغاء العتاب حدائق المتحابين وثمار الاوداء والدليل على الضن بالاخوة ويقال ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ويقال من لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ للخلة وقال الشاعر

نعاتبكم يا آل عمرو لحبكم * ألا انما المقلى من لا يعاتب

وقال ابن المعتز العتاب حياة المودة ويقال من كثر حقده قل عتابه وقال الشاعر

ترك العتاب اذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

(وقال آخر) اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

(وقال آخر) أبلغ أبا جعفر عنى معاتبة * وفى العتاب حياة بين أقوام

﴿باب ذم العتاب﴾

قال بعضهم كثرة العتاب تورث الضغينة وتولد البغضة وقال بعض الحكماء البلغاء مثل العتاب مثل الدواء ينفى به عارض الصدود ويشفى عكانه مرض الصدور فاذا استعمل لغير علة عارضة وتنوفل بلا حاجة ظاهرة تحول داء المحبة دويا وصار موتا بيد القطيعة وحيا (وقال آخر) كثرة العتاب داعية الاجتناب وقال الشاعر

ان بعض العتاب يدعو الى حقد ويؤذى به المحب الحبيبا

فاذا ما القلوب لم تضمر الود فلن يعطف العتاب القلوبا

وقال آخر فدع العتاب فرب شر * هاج أوله العتاب

وقال آخر اذا ما كنت منكر كل ذنب * ولم تحلل أخاك عن العتاب

تباعد من تعاتب بعد قرب * وصار به الزمان الى اجتناب

وقال ابن المعتز لا تعاتب صديقك لا فى سبب وأخف شئ يتعلق به الظن فان ذلك يدل على ضعف ثقتك به ووهن مودتك له وكفى بما قاله بشار بن برد واعظا من العتاب

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لم تعاتبه

فعش واحدا أوصل أخاك فانه * مفارق ذنب مرة ومجانبه

اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

﴿باب مدح الحجاب﴾

أحسن ما قيل فى الحجاب قول أبى تمام

يا أيها الملك النائى برؤيته * وجوده لمراعى جوده كثب

ليس الحجاب بمقص منك لى أملى * ان السماء ترجى حين تحتجب

ولبعضهم

له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

(وقال ابن نباتة السعدى)

ولو كان الحجاب بغير نفع * لما احتاج الفؤاد الى حجاب

وقال الحكيم الملك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان أجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية وقال بعضهم كثرة الاذن مجلبة الابتذال وأبهة الملوك فى الاحتجاب (وقال آخر) المبذول مملول والممنوع متبوع وقد أحسن ابن المعتز فى قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون اللوامح

وقال أبو جعفر العتبى للامير منصور بن نوح وهو يعرض له بالعتاب على التعرض لكثرة لقاء الناس له لو كان الله عز وجل ظاهر العيون غير محجوب عن العبيد لما عبد

(باب ذم الحجاب)

أحسن ما قيل فى ذم الحجاب قول بعض العصريين

ليس الحجاب بآية الاشراف * ان الحجاب مجانب الانصاف

ولقلما يأتى فيحجب مرة * فيعود ثانية بقلب صاف

وقال محمد بن عبد الله بن أبى عيينة

انى أتيتك للسلام وا * أنقل اليك لغيره رجلى

فحجبت دونك مرتين وقد * تشتد واحدة على مثلى

وكان خالد بن عبد الله القشرى يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسى فلا تحجبن أحدا عنى فان الوالى يحتجب لثلاثة أشياء عى يكره أن يطلع عليه أو ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره أن يسئل معه شيأ وكانت العجم تقول ماشئ باضيع للمملكة من شدة احتجاب الملوك ولا شئ باهيب للجند والرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقال أبو العتاهية

متى ينجح الغادى اليك لحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

(وقال المتنبى)

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا * ودون الذى أملت منك حجاب

(باب مدح الزيارة)

(فى الخبر) من زار أخاه أوعاد مريضا نادى مناد من السماء أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا ويقال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثة أميال وزر صديقا فى الله المتعال ويقال الزيارة عمارة المودة ومنظرة الحلة

وزار بعض العلوية يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله فقال له يحيى ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فلفضلك فلك الفضل زائرا ومزورا وقال الشاعر

أزور محمدا فاذا التقينا * تكلمت الضمائر في الصدور
فارجع لم أمله ولم يلمني * وقد رضي الضمير عن الضمير

(وقلت في المبهج) من زار صديقه الذي يفضي اليه بسره فقد لقي السرور بأسره وخرج عن عقال الهم وأسره (وفيه) زيارة الصديق تترك الهم مطردا والانس مطردا (وفيه) في زيارة الاخوان روح الجنان وراحة الجنان

﴿باب ذم الزيارة﴾

في الخبر زر غبا تزدد حبا ويقال قلة الزيارة أمان من الملالة وينشد

اني كثرت عليه في زيارته * فمل والشيء مملول اذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى * في طرفه قصرا عني اذا نظرا

(وقال كشاجم) قد قلت لما ان شكت * تركي زيارتها الخلوب
ان التباعد لا يضر اذا تقاربت القلوب

(وقال منصور الفقيه) كثرت عليه فاملته * وكل كثير عدو الطبيعه

(وقال آخر) أقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجده
ان الصديق يمله * أن لا يزال يراك عنده

وأحسن من هذا قول الآخر

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يسأم دائما * ويسئل بالأيدي اذا هو أمسكا

وأحسن ما قيل فيه قول الآخر

أقلل زيارة من تهوى مودته * فالناس من لم يواسيهم أجلوه
فالغيث وهو حياة الناس كلهم * ان دام أكثر من يومين ملوه

﴿باب مدح النساء﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وقال عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لجمالها ومالها فعليك بذات الدين تربت يداك ثم قال عليه الصلاة والسلام ما أفاد رجل بعد الاسلام خيرا من امرأة ذات دين تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمرها وتحفظه في نفسه وماله اذا غاب

عنها

عنها وقال مسلمة بن عبد الله المرأة الصالحة خير للمرء من عينيه ويديه ويقال أقر متاع الدنيا العين المرء المرأة الصالحة والولد الاريب ويقال من لم تحنه نساؤه تكلم على فيه ويقال خير النساء الودود الولود العقود وقال بعض العرب خير النساء الهينة اللينة النقية التقية التي تعين زوجها على الدهر ولا تعين الدهر على زوجها وقال بعض السلف المرأة الصالحة احدى الحسنين ويقال أعون الاعوان على المعيشة المرأة الصالحة * ويقال الانسان لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته ولذلك ان الله تعالى خلق حواء ليسكن اليها آدم عليه السلام كما قال عز اسمه هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فالسكون الى الازواج والانس بهن مما ورثوه عن آبائهم وقال بعضهم ان الرجل لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته الموافقة المواتية له لان الله عز اسمه يقول ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ولم يخصص بهذه الصفة غير النساء ولذلك يهجر الرجل والديه وأولاده ومن دونهم بسبب زوجته ولذلك لا يهتم أحد لأحد كاهتمام المرأة الصالحة لزوجها فى شفقتها عليه وعلى عياله ولا يكاد يتم أمر منزل الرجل ومروأته الا بحرة شفيقة رفيقة صالحة عفيفة والا اختلت أموره واضطربت أسبابه (وقال) خالد بن صفوان لرجل اطلب لى بكرا كثيب أو ثيبا كبكر لا ضرعاء صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت فى نعمة وأدركتها حاجة فخلق النعمة فيها وذل الحاجة معها (ومن) أحسن ما قيل فيهن قول الشاعر

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها * وعيش بنى الدنيا لقاء بناتها

وقال آخر
ان النساء رياحين خلقن لنا * وكلنا نشتهى شم الرياحين

باب ذم النساء

قال النبي صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء انهن ناقصات العقل والدين (وقال) عليه الصلاة والسلام شاوروهن وخالفوهن فان البركة فى خلافهن (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ويقال) النساء حبائل الشيطان (ويقال) اعص هواك والنساء وأطع من تشاء (وقال) النبي عليه الصلاة والسلام ما تركت بعدى فتنة أضر بالرجال من النساء (وعنه) عليه الصلاة والسلام خلقت المرأة من ضلع عوجاء فان داريتها استمتعت بها وان رمت تقويمها كسرتها (وقال) الشاعر على هذا

هي الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها
وتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * وهذا عجيب ضعفها واقتدارها

(وقيل) ان كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال الله ان كيدكن عظيم (وقال) بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأته الا بعد موتها (وقال بعضهم)

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين
فهن أصل البليات التي ظهرت * بين البرية في الدنيا وفي الدين

وكان المأمون يقول النساء شر كلهن ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن (وقال) بعضهم المرأة الصالحة غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء من عباده ويفكه عمن يشاء وكان يقال من القواتل امرأة ان حضرتها سبتك وان غبت عنها لم تأمنها (وقال) بعض الحكماء أضر الاشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء ومن لؤم من يبتلى بهن انه لا يقتصر على ما عنده ويطمح الى ما ليس له (وقال بعضهم) من يحصي مساوي النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة البطن والفرج وما فيهن الا ناقصة العقل والدين لا تصلي ولا تصوم أيام حيضها ولا يسلم عليها وليست عليهن جمعة ولا جماعة ولا يكون فيهن نبي ولا قاض ولا يسافرن الا بولي (ويقال) ما نهيت امرأة عن شيء قط الا أتته وفي معناه يقول طفيل الغنوي

ان النساء كأشجار نبتن لنا * منهن مر وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لا بد مفعول

وقال رجاء بن حيوة قال معاذ بن جبل انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم واني أخاف عليكم فتنة السراء وان أشدها لكم عندي النساء اذا تحلين الذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن اتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يقدر عليه

﴿باب مدح التزوج﴾

قيل للحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما انك يا ابن رسول الله منكاح مطلاق فقال لاني أحب الغنى وقد سمعت الله تعالى يقول وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فنكحت أبتغي الغنى وسمعته يقول وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فطلقت أبتغي الغنى أيضا (وقال) النبي عليه الصلاة والسلام لعكاف الهلالي ألك امرأة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين

فان

فان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فمن سنتنا النكاح (وقال) بعض الصحابة عند وفاته زوجته زوجونى زوجونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانى أن لا ألقاه أعزب (وقال) معاذ بن جبل لو لم يبق من عمرى الا ليلة لاحببت أن تكون لى فيها زوجة خوف الفتنة وقال بعض السلف لاعزب والله ما يمنعك من التزوج الا عجز أو فتور (ويقال) النكاح من سنن المرسلين وكذلك العطر والسواك

﴿ باب ذم التزوج ﴾

(سئل) بعض الحكماء البلغاء عن التزوج فقال فرح شهر وغم دهر وغرم مهر ودق ظهر وقيل لرجل املك فقال اهلك وقال آخر المملك هو المملوك الا أن غنمه عليه (وقال) بعض العرب بيتا فيه

يقولون تزويج وأشهد أنه * هو البيع الا من يشاء يكذب

(ويقال) قيل للعتابى أنت أعزب فلو تزوجت فقال وجدت الصبر عنهن أيسر من الصبر عليهن (وقيل) لمالك بن دينار مثل ذلك فقال لو استطعت لطلقت نفسي وفى كتاب ملح النوادر أن ذئبا كان ينتاب بعض القرى ويعيث فيها فترصده أهلها حتى صادوه وتشاوروا فى تعذيبه وقتله فقال بعضهم تقطع يداه ورجلاه وتدق أسنانه ويخلع لسانه وقال بعضهم بل يصلب ويرشق بالنبال وقال بعضهم لا بل توقد نار عظيمة ويلقى فيها وقال بعض المتحنين بنسائه لا بل يزوج وكفى بالتزويج تعذيبا وفى هذه القصة يقول الشاعر

رب ذنب أخذوه * وتماروا فى عقابه ثم قالوا زوجوه * وذروه فى عذابه

﴿ باب مدح الجوارى ﴾

كان يقال من أراد قلة المؤنة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر (وكان) عبد الملك يقول عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج الحرائر (ويقال) السرور فى اتخاذ السرارى (وكان) أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على بن أبى طالب والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا وما منهم الا ابن سرية فرغب الناس فى اتخاذ السرارى (وقال) مؤلف الكتاب وليس فى خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والمخلوع وأما الباقون كلهم فأبناء السرارى والجوارى وقد أوردت أسماء

الـكل فى كتاب لطائف المعارف المؤلف بخزانته مولانا الملك المؤيد أعزالله نصره وثبت ملكه وكان يقال النجابة فى أولاد الاماء لانهم يجمعون عزالعرب ودهاء العجم ولما تزوج على بن الحسين بأم ولد لرجل من الانصار لامه عبد الملك بن مروان على ذلك فكتب اليه ان الله عزاسمه قدرفع بالاسلام الخسيسة وأتم النقيصة وأكرم من اللؤم فلا عار على مسلم فى حلال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أمة وأم ولد فقال عبد الملك ان عليا يتشرف من حيث تتضع الناس وفى كتاب المبهج الجارية الوسيمة من النعم الجسيمة (وفيه) لاتتخذ السرية الاسرية قال وقلت فى كتاب المترف

سقيا الدهر مروري * والعيش بين السراري * اذ طير سعدي جوار
مع امتلاك الجواري * أيام عيشي قعودي * وقد ملكت اختياري
أجري بغير عذار * أجني بغير اعتذار * وغيم لهوي مطير
وزند أنسي واري * كأن خوار زمشاه الهمام أصبح جاري
من ريب دهر خؤن * بغير ماسر جاري * ذاك المليك الذي قد
حكت يداه السواري * وقد حمى الدين لما * جلاه يوم الفخار
فظل سوارا عليه * وتارة كسوار * لازال خوار زمشاه
يحوي الغنى باقتدار * صدرا بغير ممار * بدرا بغير سرار

(باب ذم الجواري)

أحسن ماسمعت فى ذم الجواري ما أنشدني أبو الحسن السهروردي قال أنشدني المحبوبي المروزي قول الشاعر

اذا لم يكن فى منزل الحر حرة * رأى خللا فى ماتولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله شر القعائد

(وكان) يقال الجواري كخبز السوق والحرائر كخبز الدور (ومن) أمثال العرب لاتمازح أمه ولاتبل على أكمه (وسمعت) أبا الحسن الماسرخسي يقول سمعت بعض صدور نيسابور يقول لاتفترش من تداولتها أيدي النخاسين ووقع ثمنها فى الموازين ويقال لاخير فى بنات الكفر وقد نودي عليهن فى الاسواق ومرت عليهن أيدي الفساق

(باب مدح العيال)

قال بعض السلف استكثروا من العيال فانكم لاتدرون بمن ترزقون (ويقال) من لاعيال له لامروءة له (وقال) طلحة الطلحات لاتمتنعوا من اتخاذ العيال فانكم

لاتدرون بمن ترزقون واعلموا أن أرزاقهم على الله ومرافقهم لكم (وكان) يقال الكلب ومن لاعيال له بمنزلة (وكان) جعفر بن سليمان يقول المروأة فى سعة الحال وكثرة العيال وشكا رجل الى بعض العلماء كثرة عياله فقال له من كان من عيالك رزقه على غير الله فحوله الى * ومما يستحسن فى ذلك لابى العتاهية

الخلق كلهم عيال الله تحت ظلاله * وأحبهم طرا اليه أبرهم لعياله

باب ذم العيال

كان يقال قلة العيال أحد اليسارين (وقال) خلف بن أيوب كم من كريم فضحته العيال (وقال) سفيان بن عيينة لايصلح ولايجوز ولايستقيم أن يكون صاحب العيال ورعا (ويقال) العاقل يتخذ المال قبل العيال والجاهل يتخذ العيال قبل المال وروى سفيان بن عيينة يوما واقفا بباب يحيى بن خالد البرمكى فقيل له ليس هذا من مواطنك يا أبا محمد فقال متى رأيتم صاحب العيال أفلح (وكان) يقول انى لاعجب عمن له عيال وليس له مال كيف لايخرج على الناس بالسيف (ومن) الامثال السائرة العيال سوس المال (وقيل) لبعضهم ما المال قال قلة العيال وقال آخر لامال لكثير العيال (ومن) مواعظ كتاب المبهج استظهر على الدهر بخفة الظهر

باب مدح الولد

فى الخبر المرفوع ريح الولد من ريح الجنة (ويروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لاحد الحسنين رضى الله عنهما انك من ريحان الله (وعنه) عليه الصلاة والسلام ولد الرجل من أطيب كسبه (ويقال) الولد قرة العين وريحانة الانف وثمرة القلب وقال بعض السلف أولادنا أكبادنا وقال الاحنف لمعاوية أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ان غضبوا فأرضهم وان سألوا فاعطهم ولاتكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك (وقالت) اعرابية وهى ترقص ولدها

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد قبلى أحد

(ومما يستحسن من ألفاظ الصاحب قوله فى كتاب) وصل كتاب مولاى فالصقته بالقلب والكبد وشممته شم الولد وقال من سره أن يرى كبده يمشى على الارض فلير ولده

باب ذم الولد

قال بعض حكماء العرب من سره بنوه ساءته نفسه (وكان) يحيى بن خالد يقول مارأى

أحد في ولده ما يحب الارأى في نفسه ما يكره (وقال) ابن الرومي في معناه

كم من سرورلي بمولود أؤمله بعد وبان يهدني الزمان رأيت منته أشد

ومن العجائب أن أسر بمن يشد عباأ هد

(وقال) ابن المعتز في فصوله أفقرك الولد أو عاداك (وفي) المبهج اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد (وقيل) لعيسى عليه السلام هل لك في الولد فقال ماحاجتي الى من ان عاش كدني وان مات هدني (وقيل) لبعض النساك ما بالك لا تبتغي ما كتب الله لك قال معاالامر الله ولا مرحبا بمن ان عاش فتنني وان مات أحزنني يريد قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال حكيم في ذم الاولاد ملوك صغارا وأعداء كبارا يريد قوله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم (ويقال) من أراد أن يذوق الحلاوة والمرارة فليتخذ ولدا (وينشد) لابي سهل سعيد بن عبد الله النكلى

هـذا الزمان الذى كنا نحذره * فيما يحدث عن كعب ومسعود

ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وقال المتنبي وما الدهر أهل أن يؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال البستي يقولون ذكر المرء يحيا بنسله * وليس له ذكر اذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي * فان فاتنا نسل فانا بها نسلو

﴿وقال ابن المعتز﴾

سكنتك يادنيا برغمي مكرها * وما كان لي في ذاك صنع ولا أمر

وجربت حتى قد قتلتك خبرة * فانت وعاء حشوه الهم والضر

فان ارحل يوما وأودعك ذميمة * ومافيك من عودي غراس ولابذر

(وقيل) لفيلسوف يعق والديه لم تعق والديك فقال لانهما أخرجاني الى عالم الكون والفساد (وقيل) لاعرابي لم أخرت التزوج الى الكبر فقال لابادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق (وحدثني) أبو نصر سهل بن المهدي قال كان رجل من المياسير بالبصرة يتمنى أن يرزق ابنا وينذر عليه النذور حتى ولد له فسر به غاية السرور وأحسن تربيته حتى ارتفع عن مبلغ الاطفال الى حد الرجال ولم يهمه شيء من أمر الدنيا سواه ولم يؤخر ممكنا من الاحسان عنه فلم يشعر الاب ذات يوم الا بخنجر خالط جوفه من وراء ظهره فاستغاث بابنه فلم يجبه ثم استغاث به ثانية والتفت فاذا هو صاحب الضربة فقال الشيخ لا اله الا الله محمد رسول الله أستغفر الله صدق الله أراد

بالتهليل

بالتهليل أن يلقى الله بالايمان وبالاستغفار ان الله تعالى حذره فلم يحذر وبقوله صدق الله عز وجل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم فاحذروهم فجمع بهذه الكلمات كل ما يحتاج اليه فى تلك الحال

﴿باب مدح البنات﴾

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا معاوية فقال هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الانف فقال أمطها عنك قال ولم قال لانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء قال لا تقل ذلك يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الزمان ولا أذهب جيش الاحزان مثلهن وانك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته وأبا قد رفعه نسل بنيه فقال يا معاوية دخلت عليك وما على الارض شئ أبغض الى منهن وانى لاخرج من عندك وما عليها شئ أحب الى منهن (وقال) معن بن أوس

رأيت رجالا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والايام يعثرن بالفتى * خوادم لا يمللنه ونوائح

وقال العلوى الحمانى فى صديق له ولدت له بنت فسخطها شعرا

قالوا له ماذا رزقتا * فأصاخ ثمة قال بنتا * وأجل من ولد النساء

أبو البنات فلم جزعتا * ان الذين تود من * بين الخلائق ما استطعتا

نالوا بفضل البنت ما * كبتوا به الاعداء كبتا

(وفى) رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت أهلا وسهلا بعقيلة النساء وأم الابناء وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار والمبشرة باخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون شعر

فلو كان النساء كمن وجدنا * لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * وما التذكير فخر للهلال

والله تعالى يعرفك يا مولاى البركة فى مطلعها والسعادة بموقعها فادرع اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وهى قوام الابدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الاجسام ولا عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيئا لك هنيئا بما أوتيت وأوزعك الله شكر ما أعطيت

(ونسخت رقعة لابي الفرج الببغا) اتصل بي خبر المولودة المسعودة كرم الله عرقها وأنبتها نباتا حسنا وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وانكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر وقد علمت أنهن أقرب من القلوب وان الله بدأ بهن في الترتيب فقال عز من قائل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى فهناك الله بورود الكريمة عليك وعرفك اعداد النسل الطيب لديك والله أعلم

﴿باب ذم البنات﴾

قيل لاعرابي ما ولدك قال قليل خبيث قيل وكيف ذلك قال لا عدد أقل من الواحد ولا أخبث من بنت (وكان يقال) دفن البنات من المكرمات (ويقال) تقديم الحرم من النعم (وفي) الحديث المرفوع نعم الختن القبر ويروى لعبد الله بن طاهر

لكل أبي بنت اذا ما ترعرعت * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر
فزوج يراعيها وبيت يكنها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

﴿وقال غيره﴾

جعلت فداك من النائبات * ومتعت ما عشت من الطيبات
سروران ما لهما ثالث * حياة البنين وموت البنات
وأصدق من ذين قول الحكيم * دفن البنات من المكرمات

(وكان) الاستاذ الطبري يقول ليس بشيخ من لا بنت له وان كان ابن تسعين سنة وليس بشاب من له بنت وان كان ابن عشرين سنة (وقيل) طوبى لمن صاهر القبر وخطب اليه الدهر ووضع في ميزانه الاجر

﴿باب مدح الغلمان﴾

قال مطيع بن اياس لو لم يكن للمرد فضيلة الا أن الله تعالى خلق ملائكته مردا وأهل الجنة مردا لكانت فيها الكفاية وانما عنى الحديث المرفوع أهل الجنة مرد جرد مكحلون (وفي) ذلك يقول الشاعر

لو كان يرضى ربنا باللحى * ما خلق الجنة للمرد

(وكان) يقال الغلام هو الرفيق في السفر والقرين في الحضر والصديق في الشدة والرخاء والمعين على الشغل والنديم عند الشرب وهو مفتاح الانس (وكان) يحيى ابن أكثم يقول قد أكرم الله أهل جنته بأن أطاف عليهم غلمانا كأنهم لؤلؤ مكنون

و ولدانا مخلدين فى وقت رضاه عنهم وقرب اتصاله منهم لفضلهم فى الخدمة على الجوارى فما الذى يمنعنى عاجلا عن طلب هذه الكرامة المخصوص بها أهل القربة عند الله والزلفى لديه (وقيل لمسلم الاصغر) لم فضلت الغلام على الجارية فقال لأنه فى السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفى الخلوة أهل (وقال) مطيع بن اياس

من كان تعجبه الانثى ويعجبها * من الرجال فانى شفنى الذكر
فوق الخماسى لماطر شاربه * رخص البنان خلا من جلده الشعر
لم يعف من كبر حتى يراد به * من الامور ولا أزرى به الصغر

(وقال آخر) فديتك انما اخترناك عمدا * لانك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا الى وصل الغوانى * لضاق بنسلنا البلد العريض

(وقال أبو نواس) انى امرؤ أبغض النعاج وقد * يعجبنى من نتاجها الحمل
حتى اذا ما رأيت لحيته * فليس بينى وبينه عمل

(وكتب) بعضهم الى صديق له على ظهر

كتبت اليك فى ظهر لعلمى * بانا معشر نهوى الظهورا
وان الصيد للغزلان خير * من السمك الذى يأوى البحورا

(باب ذم الغلمان)

قال بعض السلف لا تملؤا أعينكم من المرد فان فتنتهم كفتنة الغوانى وتربو عليها وقيل من أولع بحب الغلمان استهدف لالسن الطاعنين وقال ابن الرومى

حبك الغلمان ما * أمكن النسوان غبن انما يعشق فى ظهر اذا أعوز بطن

وقال الصابى

لحاجة المرء فى الادبار ادبار * والمائلون الى الاحراح أحرار
كم من ظريف نظيف بات ممتطيا * ردف الغلام فأضحى وهو عطار
تصفر أثوابه من ورس فقحته * فيستبين لذاك الخزى والعار
لا يستطيع جحودا اذ تقذره * يوما وفى ثوبه للسلح آثار
كم بين ذاك ومن بانت مطيته * حوراء ناظرها بالغنج سحار
يقوم عنها وقد أهدت له أرجا * تضوعت من غوالى طيبه الدار
ليس الغلام لمساعد لا يقاس بها * وهل يقاس بعود الند أقذار
اياكم يا ثقاتى من مخالتى * فلا يحد كم عن الاحراح احجار

وقال بعض الرؤساء استراح من اقتصر على النساء وقال بعض الحكماء الظرف اللواط ليس من الاحتياط وكان الاستاذ الطبرى يقول اجتماع الايرين فى لحاف واحد خطر عظيم وخطأ كبير وأنشد

عليك الاناث وايثارهن * ودع سيدى عنك ذكر الذكر
فليس اللواط من الاحتياط * وايران تحت لحاف خطر

﴿باب مدح الخط والعذار﴾

يقال هل يحسن الروض الا بزهره وقال بعض البلغاء أحسن ما يكون وجه الامرد الصبيح اذا نقش الخط فص وجهه وأحرق فضة خده وقال آخر خط الوجه الحسن كالسواد الحال فى القمر ومن أحاسن الشعر فى معناه للصاحب الجليل حيث قال

ان كنت تنكره فالبدر يعرفه * أو كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ما جاءه الشعر كى يمحو محاسنه * وانما جاءه عمدا ليغلفه

﴿وقال أبو الفرج الببغا﴾

ومهفهف لما اكتست وجناته * حلل المحاسن طرزت بعذاره
لما انتصرت على عظيم جفائه * بالقلب صار القلب من أنصاره

﴿وقال أبو نواس﴾

قد كان بدر السماء حسنا * والناس فى حبه سواء * فزاده ربه عذارا
تم به الحسن والبهاء * لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد فى الخلق ما يشاء

وقال أيضا من أين للرشأ الغرير الاحور * فى الخد مثل عذاره المتحدر
قمر كأن بعارضيه كليهما * مسكا تساقط فوق ورد أحمر

﴿وقال الشهاب الحجازى﴾

ومهفهف ألحاظه وعذاره * يتعاضدان على فناء الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال آخر وخط تم فى حافات خد * له فى كل يوم ألف عاشق
كأن الريح قد مرت بمسك * وذرت ما حوته على الشقائق

﴿باب ذم الخط والعذار﴾

قال بعض البلغاء اذا اختط الغلام استحال نور خده دجا وزمرد خطه سبجا ويقال عيب العذار انه يكسف الهلال ويحيل الحال ويمسخ الجمال وينقص

الكامل وقال الشاعر

قلت لما تشوكت وجنتاه * وأزال الظلام ضوء نهاره
أى شئ هذا فقال مجيبا * كل من مات سودوا باب داره

﴿وقال التنوخى﴾

قلت لأصحابى وقد مر بى * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودى قفوا * كى تبصروا كيف تزول النعم

﴿وقال بعض العصريين﴾

أخنى عليه الشهر والدهر * ومحا محاسن وجهه الشعر
ومن يصف ما قد دهاه يقل * لا تعجبوا قد يكسف البدر

(وقال آخر)

ما يفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود
ولا بإبليس اذ تأبى * يوم دعاه الى السجود
ولا بفرعون اذ تعدى * ما يفعل الشعر بالخدود
بينا يرى الامرد المفدى * كالبدر فى ليلة السعود
اذ عمم الشعر عارضيه * وصار قردا من القرود

وقيل ليس بعد الشعر حسن

﴿باب مدح المماليك﴾

يقال العبد من لا عبد له و يقال الكلب ومن لا عبد له سواء وقال دعبل النسابة فى المماليك هم عز مستفاد وفى اكباد الاعداء أوتاد وقال سعيد بن سالم لا بد للعميد من عبيد وكان يقال الاحسان الى العبيد مرضاة للرب ومسخطة للعدو وكان جعفر ابن سليمان يقول فى العبيد ان أكلوا من مالك تزاد وانى جمالك و يقال العيش فى سعة الدار والعز فى كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك فى كثرة المملوك وقال آخر رب عبد خير من ولد لان الولد فى أكثر الاوقات والاحوال يرى صلاحه فى موت أبيه والعبد يرى صلاحه فى بقاء سيده وأحسن ما سمعت فى وصف مملوك ومدحه قول أبى عثمان الخالدى فى شأن غلامه حيث قال

ما هو عبد لكنه ولد * خولنيه المهيمن الصمد
وشد أزرى بحسن خدمته * فهو يدى والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعة * تمازج الضعف فيه والجلد

و وردخديه والشقائق والتفاح والجلنار منه ضد

رياض حسن زواهر أبدا * فيهن ماء النعيم مطرد
معشق الطرف كحله كحل * معطل الجيد حليه الجيد
وغصن بان اذا بدا واذا * شدا فقمرى بانه غرد
مهذب خلقه فلا عوج * فى بعض أخلاقه ولا أود
ماعاظنى ساعة ولا صخب * عرفى منزلى ولا حرد
مسامرى اذ دجا الظلام ولى * منه حديث كأنه شهد
خازن مافى يدى وحافظه * فليس شئ لدى يفتقد
يصون كتبى فكلها حسن * يطوى ثيابى فكلها جدد
وحاجبى فالخفيف محتبس * عندى به والثقيل مطرد
وحافظ الدار ان ركبت فما * على غلام سواه أعتمد
ومنفق مشفق على اذا * بذرت وأسرفت فهو مقتصد
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد

و واجدنى من المحبة والراحة أضعاف مابه أجد

اذا تبسمت فهو مبتهج * وان تغيرت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت * له صفات لم يحصها العدد

باب ذم المماليك

من أمثال العرب ليس عبدك باخ لك ومنها الحر يعطى والعبد يألم قلبه ويقال الحر حر وان مسه ضر والعبد عبد وان كانت قلادته در ومن الأمثال ما أطيب الغنا لولا العبيد والاما (وقال ابن مفرغ الحميرى)

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

وقال يزيد بن محمد المهلبى (شعر)

ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا * على الهوان وان أكرمتهم فسدوا
ماعند عبد لمن يرجوه من فرج * ولا على العبد عند الخوف معتمد
فاجعل عبيدك أوتادا تشججها * لا يثبت البيت حتى يقرع الوتد

وقال بشار الحر يلحى أى يلام والعبد يقرع بالعصا وقال محمد بن محمد الطبرى

وان الحر فى الحالات حر * وان الذل يقرن بالعبيد

وقال المتنبي
العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه في ثياب الحر مولود
لا تشتري العبد الا والعصا معه * ان العبيد لأنجاس مناكيد

وسئل بعضهم عن غلام له فقال يأكل فرها ويعمل كرها (وقال ابن الرومي)

لي خادم لا أزال أحتسبه * يغيب حتى يرد مسغبه
نرسله لاشتراء فاكهة * فقصر ان تجتنا ~~كتبه~~
كم قال ضيفي لما أبت به * هيهات يوم الحساب منقلبه
وخلته قدمها الى كرم * رضوان لكي يجتني له عنبه
وانما زار مالك الفرأي * زقوم سدق فظل ينتخبه
هل مشتر والسعيد بائعه * أو قابل والسعيد من يهبه
أضر بالمسلمين جالبه * لا كان من جالب ولا جلبه

ومثله قول راشد الكاتب في ذم غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا

بعنا خسيسا فلم يحزن له أحد * وغاب عنا فغاب الهم والنكد
أهون به خارجا من بين أظهرنا * لم نفتقده وكلب الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته * فلا رواء ولا عقل ولا جلد
يدعو الفحول الى ما تحت مئزره * دعاء من في استه النيران تتقد

وقال فيه أيضا

عرضنا خسيسا فاحتمى كل تاجر * شراه وأعيا بيعه كل دلال
فما في يديه خدمة يشتهى لها * ولا عنده معنى يراد على حال
اذا لم يجد فيهم مقالا رماهم * ببعض عيوب الناس في الزمن الخالي
وان حاولوه سرأمر أذاعه * وكادهم فيه بكيادة محتال
ريهم صروف الدهر من حمقاته * أعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال
وما بات في قوم يحبون قربه * فأصبح الا والمحب له قالي
بلى ليس يخلو من معايب أهله * وان أصبحوا في ذروة الشرف العالي
ويحتال في استخراج ما في بيوتهم * بما قصرت عنه يدا كل محتال
ويعبث بالجيران حتى علهم * ويبرم أهل الدار بالقيل والقال
أقول وقد مروا به يعرضونه * الى النار فاذهب لا رجعت ولا مالي

(باب مدح الخصيان)

كان يقال الخصيان ملائكة بني آدم وقيل لابي العيناء لم اتخذت غلامين أسودين خصيين فقال اتخذتهما أسودين لئلا أتهم بهما وخصيين لئلا يتهما بي وعرض على بعض الملوك غلام صبيح خصي فقال هذا يصلح للفراش والمراش وكان بعضهم يتخذ الخدم الخصيان و يختار منهم البيض الحسان فقيل له في ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل عرائس وفيهم يقول الشاعر

هم نساء المطمئن مقيم * و رجال ان كانت الاسفار

وفيهم يقول محمد بن الخلوع

مبرؤن من الشعر الكريه ومن * حمل الايور واخراج المناتين
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيجاء يحموني

﴿باب ذم الخصيان﴾

قال الجاحظ الخصي اذا قطعت خصيته قويت شهوته ومخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتسعت فقحته وكثرت غلمته وغزرت دمعته و يقال من جب ذبه ذهب لبه وقال المتنبي في معناه

لقد كنت أحسب قبل الخصي بأن الرؤس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها في الخصى

(ومما يستظرف للجماز قوله في خصي اسمه سنان كان يعشق جارية)

ما للبغيض سنان * وللوجوه الملاح أليس زان خصي * غاز بغير سلاح

و وصف الجماز رجلا بالرعونة فقال مثله كمثل الخصي يسخن من زب مولاه ونظر خصي الى أقلف في الحمام فقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده فقال له الاقلف كل من له خصيتان له فضل عليك وأبلغ ماقيل في ذم الخصي قول بعض السلف لم يلد مؤمن ولم يلد مؤمنا

﴿باب مدح النبيذ﴾

قال كسرى النبيذ صابون الهم * ومن هذا أخذ الشيخ بدر الدين السبكي

وكنت اذا الحوادث دنستني * فزعت الى المدامة والنديم
لأغسل بالكؤس الهم عني * لان الراح صابون الهموم

وقال ارسطاطاليس الراح كيمياء الفرح

﴿ومن هنا أخذ ابن الوكيل﴾

وليست الكيمياء فى غيرها وجدت * وكلما قيل فى أبوابها كذب

قيراط خمر على القنطار من حزن * يعود فى الحال أفراحا وينقلب

وقال جالينوس الراح صديق الروح وقال آخر الراح درياق الهموم فأخذه ابن الوكيل فقال ان الذى جعل الهموم عقاربا * جعل المدام حقيقة درياقها

وقال عبد الملك بن صالح الهاشمى ما جشت الدنيا بأظرف من النبيذ وقال فى المبهج لكل شئ سرو سر النبيذ السرور * وفيه الدنيا معشوقة وريقها الراح وقال الجاحظ ان النبيذ اذا تغشى فى أعضائك ودب فى أجزائك منحك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك خلى الذرع نقى الطبع قرير العين منشرح الصدر حسن الظن صافى الذهن وسد عنك الغم وحسم عنك خاطر الهم وحسر عنك عارض السقم وهو الذى يرد الشيوخ الى طبائع الشبان والشبان الى طبائع الصبيان (شعر)

أعاذل ان شرب الراح رشد * لان الراح تأمر بالسماح

تقينا شح أنفسنا وداكم * اذا ذكر الفلاح من الفلاح

وقيل لابن نعيم ما تقول فى النبيذ المصفى الصفق المروى المروق المعسل المعتق فجعل يتمطق ويقول أخاف أن لا أستقل بشكر الله على هذه النعمة الجزيلة الجميلة وكان مطيع بن اياس يقول ان فى النبيذ لمعنى فى الجنة لان الله تعالى يقول حكاية عن أهلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والخمر يذهب الحزن وقال أبو عثمان لو نطق النبيذ لشكر ابن الرومى على قوله فيه

والله ما أدرى لأية علة * فى الراح يدعوها الفتى بالراح

ألريحها من روحها تحت الحشا * أم لارتياح نديمها المرتاح

وقيل لابن عائشة القرشى ان فلانا لا يشرب النبيذ فقال ويله قد طلق الدنيا ثلاثا وقيل للاعمش مثل ذلك فقال دعوه يقتله القولنج وقيل للرقاشى لم أولعت بالشراب فقال لانه يقدح فى يدى نورا وفى قلبى سرورا وقال حسان بن ثابت

اذا ما الاشربات ذكرن يوما * فهن لطيب الراح الفداء

ونشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا لا ينهنهنا اللقاء

(وقال غيره)

وان رضاع الكاس أعظم حرمة * وأوجب حقا من رضاع لبان

وقال آخر ما بيننا رحم الا ادارتها * والراح حرمتها أولى من الرحم

(وقال المأمون)

أما ترى الدهر لا تفنى عجائبه * والدهر يخلط معسوراً بميسور
وليس للهم إلا شرب صافية * كأنها دمعة من عين مهجور

(وقال ابن الرومى)

خل الزمان إذا تقاعس أو جمح * واشك الهموم الى المدامة والقدح
واحفظ فؤادك ان شربت ثلاثة * واحذر عليه أن يطير من الفرح
هذا دواء للهموم مجرب * فاسمع نصيحة حازم لك قد نصح
ودع الزمان فكم نصيح حازم * قد رام اصلاح الزمان فما صلح

(وقال هبة الله بن المنجم)

الراح فى ابريقها * أحسن روح فى جسد فهاتها نصلح بها * من الزمان ما فسد

(ولمؤلف الكتاب فى صباه)

وعقار عيش من * عاقرها عيش أنيق فهى للأنس نظام * والى اللهو طريق
وهى للأرواح فى * أبداً نعم الصديق قلت لما لاح لى * منها شعاع وبريق
أشقيق أم عقيق * أم حريق أم رحيق

(باب ذم النبيذ)

فى الحديث المرفوع جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر (وفى) المبهج الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور (وعاتب) ابن الضحاك بن مزاحم صديقاً له على شرب النبيذ فقال انما أشربه لانه يهضم الطعام فقال ما يهضم من دينك أكثر (وقيل) لبعض الحكماء اشرب معنا فقال أنا لا أشرب ما يشرب عقلى (وقيل) لبعضهم النبيذ كيمياء الطرب فقال نعم ولكنه داعية الحرب (وقال) آخر لابنه يا بنى اياك والشراب فانه مفسدة للدين والمال (وأنشدنى) أبو الفضل عبد الله بن أحمد

تركت النبيذ وشرابه * وصرت صديقاً لمن عابه
شراب يضل طريق الهدى * ويفتح للشر أبوابه

(باب مدح الصبوح)

كان بعضهم يقول الشراب باكورة الحياة وبكر الشهوات والشرب فى شباب النهار أقوى لاسباب الانس وأدعى لاطراب النفس وأجمع لشمل اللهو وآخذ لحظوظ الشهوة وقال آخر

ان شرب المدام سير الى اللهو * وخير المسير صدر النهار
(ولذلك) قال ابن المعتز * اسقنى الراح فى شباب النهار * وعلى طريقته قال العلوى
الجمانى ان صدر النهار أنضر شطريه كما نضرة الفتى فى فتائه
(ولابن المعتز) مزدوجة تقع فى هذا الباب

لى صاحب قد لامنى وزادا * فى تركى الصبوح ثم عادا
قال ألا تشرب بالنهار * وفى ضياء الفجر والاسفار
اذا وشى بالليل صبح فافتضح * وذكر الطائر شجوا فصدح
ونفض الليل على الروض الندى * وحركت أغصانه ريح الصبا
وقال شرب الليل قد آذانا * وطمس العقول والاذهانا
ألا ترى البستان كيف نورا * ونشر المنثور بردا أصفرا
وضحك الورد الى الشقائق * واعتنق القطر اعتناق الوامق
فى روضة كحلل العروس * وزهرة كهامة الطاوس
وياسمين فى ذرى الاغصان * منتظم كقطع العقيان

وقال ابن الحجاج الصبح مثل البصير حالا * والليل فى صورة الضرير
فليت شعرى بأى حال * يختار أعمى على بصير

﴿باب ذم الصبوح﴾

أحسن وأجمع ما قيل فى ذم الصبوح قول ابن المعتز فى المزدوجة

اسمع فانى للصبوح عائب * عندى من أخباره عجائب
اذا أردت الشرب قبل الفجر * والنجم فى لجة ليل يسرى
وكان بردا فالنديم مرتعد * وريقه على الثنايا قد جمد
وللغلام ضجرة وهمهمه * وشتمة فى صدره مجمجمه
يمشى بلا رجل من النعاس * ويدفق الكاس على الجلاس
وان أحس من نديم صوتا * قال مجيبا طعنة وموتا
وان يكن للقوم ساق يعشق * فجفنه بجفنه مدبق
ورأسه كمثل روض قد مطر * وصدغه كالصولجان المنتشر
أعجل عن سواكه وزينته * وهيئة تنضر حسن صورته
يخدمهم بسمج محاول * ويحمل الكأس بلا منديل

وان طردت البرد بالستور * وجئت بالكانون والتنور
فأى فضل للصبوح يعرف * على الغبوق والظلام يسدف
وقد نسيت شرر الكانون * كأنه نثار ياسمين
وتركك البساط بعض الجهد * ذا نقط سود كجلد الفهد
حتى اذا ما ارتفعت شمس الضحى * قيل فلان وفلان قد أتى
وربما كان ثقيلا يحتشم * مطول الكلام حينا وختم
ورفع الريحان والنبيذ * وزال عنك عيشك اللذيذ
ولست فى طول النهار آمنا * من حادث لم يك قبل كائنا
أو خبر يكره أو كتاب * يقطع أنس اللهو والشراب
واسع الى مشارب الصبوح * فى الصيف قبل الطائر الصدوح
حين حلا النوم وطاب المضجع * وأنكر الحر ولذ المهجع
فقرب الزاد الى نيام * ألسنهم ثقيلة الكلام
وللغنى عارض فى حلقه * ودمعة قد قدحت فى عينه
وان أردت الشرب بعد الفجر * والصيف قد سل سيوف الحر
فساعة ثم تجيك الدامغه * بنارها ولا تسوغ سائغه
ويسخن الشراب والمزاج * ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا الحميما * وأطعموا من زادهم سموما
وصار ريحان لهم كالقت * وكلهم لكلهم ذو مقت
وبعضهم عند ارتفاع الشمس * يحس جوعا مؤلما للنفس
وان دعى الساقى بالطعام * خيط جفنيه على المنام
لم يلف الا دنس الاثواب * مهوسا يسىء للاصحاب
ذا شارب وظفر طويل * ينفض الزاد على الاكليل
ومقلة مبيضة المآق * وأذن كحقة الترياق
وجسد عليه جلد من وسخ * كأنه شرب نفطا أو لطخ
هذا كذا ومار كت أكثر * جربوا ما قلته وفكروا

وله أيضا

لا تدعنى لصبوح * ان الغبوق حبيبى
فالليل لون شبابى * والصبح لون مشيبى

ولبعضهم

ولبعضهم الوجه مثل الصبح مبيض * والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد
وللبستي بدا لي في الصبا لما بدا لي * نهار الشيب في ليل القذال
كأن الشعر شرب كان صفوا * فشابته الليالي بالقذالي

﴿باب مدح السماع﴾

قال بعض الفلاسفة أمهات لذات الدنيا أربع لذة الطعام ولذة الشراب ولذة النكاح ولذة السماع فاللذات الثلاث لا وصول الى كل الا بحركة وتعب ومشقة ونصب ولها مضار اذا استكثر منها وأما لذة السماع قلت أو كثرت صافية من التعب خالصة من النصب خالية من الوصب (وقد) نظم ذلك من قال

وجدت رئيسة اللذا * ت أربعة متى تحسب * فمنها لذة المنكح
والمطعم والمشرب * وتبقى بعدها أخرى * من الصوت الذي يطرب
وهذي قد تفيد النفس ابهاجا ولا تنصب
وما من لذة من تلك الاوهي قد تتعب

(قال) مؤلف الكتاب ومن خصائص السماع انه لا يعجزه ولا يحجبه شيء وان الجمع بينه وبين كل عمل ممكن وان الابل والخيل تستطيبه وترقص عليه والصبيان الرضع تستلذه وتسكن اليه والوحوش والطيور تسكن الى فائقه وتعرج عليه (وكان) بعض فقهاء المتكلمين يقول قد اختلف الناس في السماع فاباحه قوم وخطره آخرون وأنا أخطا الفريقين فأقول انه واجب لكثرة منافعه ومرافقه وحاجة الناس اليه وحسن أثر استماعهم به (وكان) عبدالله بن جعفر يقول انى لا اجد للسماع أريحية ولو سئلت عندها أعطيت ولو قاتلت أبليت وسمع معاوية عند عبدالله بن جعفر الغناء فحرك رأسه ورجليه وصفق بيديه ثم لما أناب رأيه اليه قال كالمعتذر منه ان الكريم طروب ولا خير فيمن لا يطرب (وكان) مروان ابن أبي حفصة اذا تغدى عند اسحق الموصلي يقول له أطعموا آذاننا رحمكم الله (وكان) يحيي بن خالد البرمكي يقول خير الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك (ويقال) ان الغناء غذاء الروح كما أن الطعام والشراب غذاء البدن ومن أحسن ما قيل في الغناء قول بعضهم

غنت فلم تبق في جارحة * الا تمنيت انها اذن

﴿باب ذم السماع﴾

قال الحطيئة لقوم نزل بهم جنبوا مجلسنا الغناء فانه رقية الزنا (وسمع) سليمان بن عبد الملك ذات ليلة فى معسكره غناء فأمر بصاحبه أن يخصى ثم قال ان الفرس ليصهل فتستودق الرمكة وان الجمل ليرغو فتستضبع له الناقة وان الرجل ليغني فتغتلم له المرأة (وكان) الكندي يقول لابنه اياك والسماع فانه برسام حاد وذلك ان المرء يسمع فيطرب ويطرب فيسمح ويسمح فيعطى ويعطى فيفتقر ويفتقر فيهتم ويهتم فيمرض ويمرض فيموت (وكتب) البديع فى رقعة الى تلميذه توفى أبوه وخلف مالا يامولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا والعاقل فقرا بل وقرا وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار فى هذا العمل بضاعه (وطلب) بعض المغنين جائزة من بعض المحصلين فقال المسؤل له اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست أشترى الريح بالروح (ونظمه) الشيخ الامام فقال

ألا ان الغنا للمرء روح * وان غناء فى الآذان ريح
وما يحصل عقلا ودينا * ليذهب منه بين الريح روح

باب مدح الزجاج

(مدح) سهل بن هارون الزجاج ووصفه فى بعض مجالس الملوك فقال الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وفضيلة الذهب بالصلابة وفضيلة الزجاج بالصفاء ثم ان الزجاج أبقى على الدفن وهو مجلو نورى والذهب متاع ساتر والشراب فى الزجاج أحسن منه فى كل جوهر ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع فى السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهى لا تصدأ وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت بالصابون صارت جددا والزجاج أشبه شيء بالماء وصنعته عجيبه وصفته غريبه وصياغته أغرب وأعجب ومن كرع فيه لشرب ماء فكأنما يشرب فى اناء من ماء وهواء وضياء ومرآته المركبة فى الحائط أضوأ من مرآة الفولاذ والصور فيها أبين وقد تقدح النار من قنينة الزجاج اذا كان فيها ماء محاذ عين الشمس لان طبع الزجاج والماء والهواء والشمس من عنصر واحد وليس فى كل ما يدور الفلك عليه جوهر أقبل لكل صبغ واجدر أن لا يفارقه منه حتى كان ذلك الصبغ جوهره ومتى سقط عليه ضياء أنفذه الى الجانب الآخر وأعاره لونه وان كان الجام ذا ألوان أراك بياض البيت أحسن من وشي صنعاء ومن ديباج تستر ولم يتخذ الناس آنية أجمع لما يريدون منه وقال

الله تعالى عز ذكره قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير وقال عز ذكره وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا واشتق الفضة من اسمها على ان الزجاج أقطع من السيف وأحد من الموسى واذا وقع المصباح على جوهر الزجاج صار مصباحا آخر ورد كل واحد منهما الضياء على صاحبه واعتبروا ذلك الشعاع الذى على وجه الماء وعلى الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره حتى يكاد يغشى عين الناظر اليه قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا عب فى الاناء كلحت فى وجهه مردة الجن والشياطين فعلمه الله صنعة الزجاج

﴿باب ذم الزجاج﴾

حسن ما ذم به الزجاج قول النظام فانه أخرجه فى كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال أيسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ومن هنا قال الشاعر

احرص على حفظ القلوب من الأسى * فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وقال آخر

وهشيم الزجاج أرجى صلاحا * من فساد القلوب بعد الصلاح

(قال مؤلف الكتاب) ليس الزجاج من حسن المتاع وهو على مدرجة الهلاك والضياع لان الآفات ترفرف عليه والعاهات تسارع اليه وكلما كان أثمن وأقوم كان الخطر فيه أشد وأعظم وما احتاط على ماله من غالى به وأسرف فى ثمنه * وكتب مروان بن محمد الى بعض الخوارج انى واياك كالحجر والزجاجة ان وقع عليها رضها وان وقعت عليه فضها وكما قال الشاعر

وآلت يمينا كالزجاج رقيقة * وما حلفت الا لتحنث من أجلى

وقال السرى يعاتب صديقا له على سر أذاعه

سرى لديك كاسرار الزجاجة لا * يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من السر كسرا لا انجبار له * فللزجاجة كسر ليس ينجبر

وقال ابن علان النهروانى للزجاج النحوى

لك عهد قد جبرنا * ه فأعيتنا صدوعه فاذا ودك مما * كنت بالامس تبيعه

﴿باب مدح الذهب﴾

(قال) شداد الحارثى الذهب أبقى الجواهر على الدفن واصبرها على الماء وأقلها

نقصانا على النار وهو أوزن من كل شيء اذا كان في مقدار شخصه وجميع جواهر الارض اذا وضع على الزئبق في انائه طفا ولو كان ذا وزن ثقيل وحجم عظيم ولو وضعت عليه قيراطا من الذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء ولا يجوز ولا يصلح أن تشد الاسنان المنتزعة بغيره ولا يوضع في مكان الانوف المصطلمة سواه وميله أجود الاميال وأهل الهند تهزه في العين بلا كحل ولا ذرور لصلاح طبعه وموافقة جوهره لجوهر الناظرين وله حسن وبهاء في العيون وحلاوة في الصدور ومنه الزرياب والصفائح التي تكون في سقوف الملوك وعليه مدار التبايع منذ الزمان الاول والدهر الاطول وهو ثمن لكل شيء وهو فوق الفضة مع حسنها وكرمها باضعاف وأضعاف أضعاف والارض التي تنبته ويسلم عليها تحيل الفضة الى جوهرها في السنين اليسيرة والمدة القصيرة وتقلب الحديد الى طبعها في الايام القليلة والاوقات الضئيلة والطبيخ الذي يكون في قدره أغذى وأمرأ وأصح في الجوف وأطيب (وسئل) أمير المؤمنين على رضي الله تعالى عنه عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع فاجراه في ضرب المثل به كل مجرى وقال الله تعالى حكاية عن شأن الكفار ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فدل على عزته وعظم قدره وقال أبو زيد البلخي معلوم أنه ليس من الجواهر الموجودة في العالم أطول بقاء من الذهب لما يرى من انقضاء الزمان بدون فساد يعرض عليه حتى ان العامة لتحكم بانه جوهر لا فساد فيه البتة وانما خص بهذا البقاء الطويل وابطاء آفات التغير بسبب اعتدال مزاجه في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فان كل ما خرج من الاشياء المركبة عن الاعتدال الى أفراط كيفية من الكيفيات الاربع أسرع اليه الفساد لغلبة تلك الكيفية ولذلك الفساد الذي هو ضد الكون سببه الخروج عن الاعتدال ولصحة مزاجه لم يوجد فيه صدأ كغيره من الجواهر والسهولة التي فيه لم توجد في غيره اذ كل ما عداه يكسب الاطعمة والاشربة المجعولة فيه نوعا من فساد الطعم والرائحة وكل ما أكل وشرب فيه وجد سليما من هذا العارض ولذلك اختار الملوك العظماء الاكل والشرب فيه ووعد الله عباده به في دار الثواب فقال سبحانه يطاف عليهم بصحاف من ذهب كما قال في باب الحلية والزينة جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب وذلك لما كانت العادة به من متنعمي الملوك في هذه الدنيا بان يحلوا أعضاءهم

الشريفة بالذهب وكذلك شأنهم اذا بالغوا فى اكرام من يقفون منه على بلاء عظيم فى الحرب والدفاع عن حوزة الملك والجلالة قدره ما حكى الله عز اسمه فى قصة موسى عن فرعون فلولا ألقى عليه اسورة من ذهب * ومن أحسن ما قيل فى وصف الذهب قول قدامة حكيم المشرق الذهب نسيم مركوم وشعاع معقود فأتى بعلة عجيبة حيث ذكر انه شعاع الشمس وقد انعقد فصار جمادا * وفى المبهج الذهب خير مال حاضر لباد أو حاضر (وقال أيضا) من ملك الصفر والبيض أبيض وجهه واخضر عيشه واسود وجه عدوه

﴿باب ذم الذهب﴾

قال سهل بن هرون الذهب اسم يتطير منه ولا يتفاءل به ومن لؤمه اسراعه الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام (المتنبى فى معناه)

شبيه الشئ منجذب اليه * وأشبهنا بدنيانا الطغام
وما أنا منهم بالعيش راض * ولكن معدن الذهب الرغام

والذهب فتان لمن أصابه ويقال الذهب من مصائد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران وقلت فى المبهج ما أسرع ذهاب الذهب وانفضاض الفضة

﴿باب مدح الشطرنج﴾

أحسن ما فيه قول ابن المعتز

ياعائب الشطرنج من جهله * وليس فى الشطرنج من باس
فى فهمها علم وفى لعبها * شغل عن الغيبة للناس
وتذهل العاشق عن عشقه * وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها * يزداد فى الشدة والباس
وأهلها فى حسن آدابهم * من خير اصحاب وجلاس

وقال ابن الرومى فى معناه يمدح الشطرنج والنديم أحسن

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * عواقب لا تسمو بها عين جاهل
وأجدى على السلطان فى ذاك أنه * يريه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته * مثال لتصريف القنا والقنابل
تأمل حجاه فى دقائق هزله * تجد حجاه فى الخطوب الجلائل

(وسئل) محمد المزنى عن المتلاعبين بالشطرنج فقال اذا سلمت أيديهما من الضرب والخسران وألسنتهما من الفحش والعدوان وصلاتهما من السهو والنسيان كانت

أدبا بين الاخوان والخلان * وكان المأمون يقول عجبت من ذراع فى ذراع يدبرها العقلاء منذ دهر طويل فلم يقفوا لها على غاية (وكان) سعيد بن جبير رضى الله عنه يقول ما وضع هذا الشطرنج الالامر عظيم

﴿باب ذم الشطرنج﴾

ذكر الصولى فى كتاب شعراء مصر أن الخراسانى الشاعر كان حاذقا يلعب الشطرنج فعابها الحسين بن محمد مكايدة له فقال صاحبها أبدا مشغول مهموم يحلف بالله كاذبا ويعتذر مبطلا ويشتم نفسه ويسخط ربه وكل صناعة لاتجوز المكابرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب فى ساعة فتنقضى دعواه وهى لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمخمور حتى يفيق واغاهى خشب هزم خشبا ولعب أورث من غير طائل تعبا ثم ان الرجل ليسأل عن غلامه فيقال هو يلعب فيضربه ولا يستحى أن يقول تعالوا حتى نلعب الشطرنج وأنت تقول فى الكاتب ما أحذقه وفى الطنبورى ما أضربه فاذا عبرت عن الشطرنجى قلت ما ألعبه فما تقول فى العبارة عن صناعة الكتاب أحسن من العبارة عن صاحبها * وفى كتاب يتيمة الدهر لمؤلف هذا الكتاب ان أبا القاسم الكسروى كان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب فى ذكر عيوبها ويقول لاترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا دنيا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج فاذا أجرى شئ منها قيل جاء الزمهرير ولا يتمثل بها الا فيما يعاب ويكره فاذا أخذت البيذق الشاه قيل قد فرزنت واذا كان مع الغلام الصبيح رقيب تقيل قيل معه فرزن بندواذا استحقر قدر الانسان قيل كأنه بيدق الشطرنج واذا رؤى طفيلى يكثر الاكل على المائدة ويسئ الادب فى المؤاكلة قيل انظروا الى يد هذا الكشخان كأنها الرخ فى الرقعة واذا روى زيادة لايحتاج اليها قيل زيد فى الشطرنج بغل واذا سب رجل ساقط المروءة قيل من أنت فى الرقعة واذا ذكر وضيع ارتفع قيل متى تفرزنت يابيدق

﴿باب مدح النرجس﴾

قال جالينوس من كان له رغيفان فليجعل أحدهما فى ثمن النرجس لان الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح (وكان) أنوشروان ينظر الى النرجس ويشبهه بالعيون ويقول انى لاستحى أن أجامع فى بيت فيه نرجس (وكان) الحسن بن سهل يقول من أدمن شم النرجس فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف (ووصف) بعض البلغاء النرجس فقال كأن عينه عين وورقه ورق وساقه زمرذ * وقد اكثر

الشعراء

الشعراء في وصفه فقال أبو نواس

تأمل في نبات الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * بابصار هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بان الله ليس له شريك

ولبعضهم يا صاح ان وافيت روضة نرجس * اياك فيها المشي فهو محرم
حاكت عيون معذبي بذبولها * ولاجل عين ألف عين تكرم

وابن الرومي فضله على الورد بقوله

خجلت خدود الورد من تفضيله * خجلا توردها عليها شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناحله الفضيلة عاند
للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
وان احتفظت عليه أمتع صاحب * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعقلك في الملاح سميه * أبدا فانك لا محالة واجد
والورد ان فتشت في أسمائه * ما في الملاح له سمي واحد
هذي الزهور هي التي قد ربيت * بيد السحاب كما يربي الوالد
فانظر الى الاخوين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين الخدود من العيون نفاسة * ورياسة لولا القياس البارد

﴿وله أيضا فيه﴾

أرى حسن هذا النرجس الغض مخبرا * عن الله أن ليس النبيذ محرما

﴿باب ذم النرجس﴾

لما فضل ابن الرومي النرجس على الورد تصدى له الشعراء بالمناقضة والمعارضة فقال ابن الحاجب

ياذا الذي للحق ظل يعاند * وقد استبان له الطريق القاصد
قايست نرجسك الذي فضلته * بالورد يا هذا قياسك فاسد
وعدلت عن عدل الحكومة جائرا * بقضية فيها عليك أواحد
وجعلت أصلك أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
والنرجس البادي وليس مفضلا * والورد بعد النور أجمع وارد

واذا الجيوش تتابعت فى موكب * فبآخر منها يجى القائد
وأجل من عين يشين بياضها * لون من اليرقان أصفر بارد
خد تورد لونه لنعيمه * فعليه من خلع الربيع مجاسد
والورد ساق مستقر أصله * والنرجس المضفوف غصن مائد
فتأمل الاثنين أيهما رست * اعراق منصبه فذاك الماجد
ما آخر الورد الخطير مقدما * للنرجس المرذول الا حاسد

(وقال أبو العلاء السروى)

انظر الى نرجس تبدت * صبح العينيك منه طاقه * وا كتب أسامى مشبهيه
بالعين فى دفتر الحماقه * وأى حسن يرى لطرف * مع يرقان يحل ماقه
كروثة ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

(وقال آخر) قد أجاد الورد حجته * فى مقال غير ذى خطل
قال لى أبصرت نرجسة * غضة فى كف ذى غزل
فهى تحكى عين ذى مرض * يقطع الايام بالعلل

(باب مدح الورد)

قال ابن سكرة الهاشمى للورد عندى محل * لانه لا يمل
كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

(ولآخر) كتب الورد الينا * فى قراطيس الخدود
يا بنى الصهباء صلونى * قد دنا وقت الورود

(وقال أبو الفرج الببغا)

زمن الورد أظرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أشرف الزهر زاد فى أشرف الدهر فصل فيه أشرف الفتيان

وعهدى بغير واحد من الفضلاء يستظرف قول ابن أبى البغل

تمتع من الورد القليل بقاؤه * كأنك لم يفجأك الافناؤه
وودعه بالتقبيل والشم والبكا * وداع حبيب لا يطول بقاؤه

ومما يدخل على الاذن بلا اذن قول على بن الجهم

زائر يهدى الينا * نفسه فى كل عام * حسن الوجه زكى الـ
ـريح الف للدام * عمره خمسون يوما * ثم يمضى بسلام

وقوله ما أخطأ الورد منك شيأ * حسنا وطيبا ولا ملالا
أقام حتى اذا أنسنا * بقربه أسرع انتقالا

(وقال) مؤلف الكتاب فى المبهج اذا ورد الورد صدر البرد

﴿باب ذم الورد﴾

كان ابن الرومى يذم الورد و تهجنه لانه كان يزكم من رائحته وقد قال فى ذمه وهو من نوادر التشبيه

وقائل لم هجرت الورد معتبلا * فقلت من قبحه عندى ومن سخطه
كأنه سرم بغل حين أخرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

(ولغيره) النرجس الغض لربات الغنج * والورد من شم رعاع وهمج
أماتراه حين يبدو طالعا * كأنه سرم حمار قد خرج

وبلغنى أن الامير خلف بن أحمد كان ينشد كثيرا قول البستى

لا يغرنك انني لين المس لانى اذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام

﴿باب مدح الشتاء﴾

أحسن ما قيل فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقد أحسن أبو تمام فى قوله

ان الشتاء على شآمة وجهه * لهو المفيد طلاوة المصطاف

وقال آخر لولا الذى غرس الشتاء بكفه * قاسى المصيف هشائم الاثمر

وقال آخر خضرة الصيف من بياض الشتاء * وابتسام الثرى بكاء السماء

(وقال مؤلف الكتاب) ومن محاسن الشتاء طول الليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وبرد الماء الذى هو مادة الحياة وانقطاع الذباب والبعوض وعدم ذوات السموم من الهوام وأمنها على الطعام والاجسام وهو حبيب الملوك وأليف المتنعمين يطيب لهم فيه الاكل والشرب ويجتمع فيه الشمل ويظهر فيه فضل الغنى على الفقير وهو زمان الراحة كما أن الصيف زمان الكد ولذلك قالوا من لم يغل دماغه صائفا لم تغل قدوره شاتيا كما قيل

وان الذى لم يغل صيفا دماغه * وجدك لا تغلى شتاء قدوره
كذلك مقسوم المعايش فى الورى * بسعى وهى تستبين أموره

(ومدح) بعض الدهاقين الشتاء فقال آكل فيه ما جمعت وأستمتع بما ادخرت وأى شئ حسن من كانونى فى كانون ومن لبس الخز والسمور والقعود فى الطوارم مع الاحباب وتناول الدراج والكباب والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج بثلج الصدر وقال بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لى بنعيمه * ان الشتاء غنيمة الكتاب
قصر النهار وطول ليل ممتع * فيه تلذ بقينة وشراب

﴿باب ذم الشتاء﴾

أحسن ما قيل فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم احذروا البرد فانه قتل أخاكم أبا الدرداء قال بعض السلف الشتاء عدو الدين وهلاك المساكين * وفى الخبر الحر يؤذى والبرد يقتل وقال الجاحظ الشتاء عند الناس هو الكلب الكلب والعدو الحاضر يتأهب له كما يتأهب للجيش ويستعد له كما يستعد للحرق والغرق * وقال مؤلف الكتاب الشتاء عذاب وبلاء وعقاب ولأواء يغلظ فيه الهواء ويستحجر له الماء وتنحجر الفقراء وما ظنك بما يزوى الوجوه ويعمش العينين ويسيل الأنوف ويغير الالوان ويقشف الابدان ويميت كثيرا من الحيوان فكم فيه من يوم أرضه كالقوارير اللامعة وهواؤه كالزنابير اللاسعة وليل يحول بين الكلب وهريره والاسد وزئيره والطير وصفيره والماء وخريره وقال آخر نحن فى الشتاء بين لثق وزلق ودمق وقال الشيخ الامام رحمه الله تعالى

نحن فى شتوتنا فى قلق * وتمادى شغق فى فرق
ليس يخلو يومنا والليل من * لثق أو زلق أو دمق

﴿باب مدح الصيف﴾

يقال الصيف خفيف المؤنه جليل المعونه كثير النفع قليل الضر وهو أم الحب والرياحين وبنات البساتين وراحة الفقراء والمساكين وستر الضعفاء والمخملين والعون على عبادة رب العالمين وطبعه طبع الشباب الذى هو باكورة الحياة كما أن الشتاء طبعه الهرم الذى هو باكورة العدم

﴿باب ذم الصيف﴾

فى الحديث المرفوع شدة الحر من فيح جهنم وقلت فى ابتهاج حر الصيف كحد السيف وقلت أيضا رب يوم هواؤه يتلظى * فيه حاكى فؤاد صب متيم

قلت

قلت اذ خد حر وجهي * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

(وكتب) بعض الكتاب الى بعضهم أشكو الى مولاى صيفا لا يطيب معه عيش ولا ينفع به ثلج ولا خيش (وكتب آخر) كيف لى بالحركة وقد قوى سلطان الحر وفرش بساط الجمر لا سيما وفيه الهاجرة التى هى كقلب المهجور والتنور المسجور (وكتب آخر) لا مرحبا بالصيف من ضيف فهو عون على الحيات والعقارب وأم الذباب والخنافس وظئر البق الذى هو آفة الخلق ثم قال فيه

من كل سائلة الخرطوم طاغية * لا يحجب السجف مسراها ولا الكلل

طافوا علينا وحر الصيف يطبخنا * حتى اذا نضجت أجسامنا أكلوا

(باب مدح المطر)

قال الله تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يعنى المطر وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكشف رأسه للمطر تعرضا لرحمة الله تعالى وقال عز وجل وأنزلنا من السماء ماء طهورا وقال سبحانه وتعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا * وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول من كان له داء قديم فليستوهب امرأته درهما من مهرها وليشتر به عسلا ويشربه بماء السماء ليكون قد اجتمع له الهنى والمرى والشفاء والمبارك وهو مأخوذ من قوله تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وقوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول المطر بعل الارض يعنى أنه يلقحها ومنه أخذ ابن المعتز قوله

ومزنة مشعلة البوارق * تبكى على الارض بكاء العاشق

تلقح بالقطر بطون الثرى * والقطر بعل التربة العاتق

(وقال بعض البلغاء) مرحبا بالغيث الذى أغاث الانام وأروى الهضاب والآكام وأحيا النبات والسوام وقال آخر يا فرحتا بالغيث الذى أحيا الورى وروى الثرى ونبه عيون النور من الكرى وقال أبو تمام

غيث أتانا مؤذنا بخفض * قضت به السماء حق الارض * يمضى ويبقى نعما لا تمضى

وقال أحمد بن أبى طاهر

وعارض مبتسم قد استهل * ومد أطناب الغمام وأظل

حتى اذا أتوى الثرى من وبله * واخصب الجدب تولى وارتحل

كم أنزل الله به من رحمة * ومن حياة بحياه ادنزل

(وقال مؤلف الكتاب)

أتى هذا النثار على نظام * وجاء الخير اذ اجاد الغمام
فللوسمى فى أرضى بكاء * وللزرع ابتهاج وابتسام

(باب ذم المطر)

كان يقال المطر مفسد الميعاد ويقال الغيث لا يخلو من الغيث وقلت فى المبهج قد عاقت الامطار عن الاوطار وحالت الاوحال عن الوصال وقال أبو نواس

هو الغيث الا أنه باتصاله * اذا ليس قول الله فيه بباطل
لئن كان أحيا كل رطب ويابس * لقد حبس الاحباب وسط المنازل

وقال أبو على البصير

من تكن هذه السماء عليه * نعمة أو يكن بها مسرورا
فلقد أصبحت علينا عذابا * ولقينا منها أذى وشرورا
صيرت منزلى خرابا ومن ها * داتها أن تخرب المعمورا
أيها الغيث كنت بؤسا وفقرا * لى وللناس حنطة وشعيرا

وقال أيضا رحمة صيرت على عذابا * تركت منزلى خرابا يبابا
لم تدع لى بها ولا لعيالى * سقف بيت يكف عنى السحابا

(وقال ابن المعتز)

رويناها نزداد يارب من حيا * وأنت على ما فى النفوس شهيد
سقوف بيوتى صرن أرضا أدوسها * وحيطان دارى ركع وسجود

(باب مدح القمر)

(قال مؤلف الكتاب) القمر هو نور الله عز وجل وأحد النيرين وهو الذى يجعل الليل نهارا وبه يشبه كل وجه حسن ويتمثل به فى كل خير (وفيما يقول الناس) من حكاياتهم أن اعرابيا نام ليلة عن جمله ففقده فلما طلع القمر وجده فرفع الى الله يديه وقال أشهد أنك قد أعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك واذا شاء قورك ولو شاء كورك فلا أعلم مزيدا أسأله لك فلئن أهديت الى قلبى سرورا لقد أهدى الله اليك نورا ثم أنشد يقول

ماذا أقول وفيك القول ذو خطل * كفيتنى فيك دا التفصيل والجملا

ان قلت لازلت عاليا فأنت كذا * أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

﴿باب ذم العمر﴾

أبلغ ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعض الظرفاء الادباء ممن يسكن الدار بكراء وقد قيل له انظر الى القمر ما أحسنه فقال والله ما أنظر اليه لبغضي فيه قيل ولم ذلك قال لان فيه عيوبا لو كانت في حمار لرد بالعيب قيل وما هي قال ما يصدقه العيان ويشهد به الاثر فانه يهدم العمر ويقرب الاجل ويحل الدين ويوجب كراء المنزل ويقرض الكتان ويغير الالوان ويسخن الماء ويفسد اللحم ويورث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق وقال ابن المعتز فيه

ياسارق الانوار من شمس الضحى * ما مثل نورك في الدجاء منغصي
أما ضياء الشمس فيك فناقص * وأرى زيادة حرها لم ينقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل * متسلخ بهقا كوجه الابرص

﴿باب مدح السفر﴾

قد مدح الله تعالى المسافرين فقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وأمر جل اسمه بالسفر فقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال جل وعلا هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (وفي الخبر) سافروا تغنموا وتصحوا وفي رواية تصحوا وتغنموا وفي التوراة ابن آدم جدد سفرا أجدد لك رزقا (ولبعضهم)

فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا

وقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض (ولبعضهم)

أدور من المعالي منتهاها * ولا أرضى بمنزلة دنيه
فاما نيل غاية ما أرجي * واما أن توسدني المنيه

(ولآخر) ان كنت ترضى بالدنية منزلا * فالارض حيث حللتها لك منزل
فاذا عزمت على المعالي فاخترط * عزما كما عزم الرجال النزل

وقال آخر واذا الديار تنكرت عن حالها * فدع الديار وسارع التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا
واذا بكيت على زمان قد مضى * حتى يعود لتبكين طويلا

(وقال أحد الحكماء) السفر أحد أسباب المعاش التى بها قوامه ونظامه لان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا فى أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض ومن فضله أن صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علما ويفيده فهما بقدرة الله وحكمته ويدعوه الى شكر نعمته ويسمع العجائب ويكسب التجارب ويفتح المذاهب ويجلب المكاسب ويشد الابدان وينشط الكسلان ويسلى الاحزان ويطرد الاسقام ويشهى الطعام ويحط سورة الكبر ويبعث على طلب الذكر وقال حاتم طى

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(وقال ابن المعتز) أشقى من المسافر الى الامل من قعد فى الناس عن العمل وقال غيره

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر

(وفى المبهج) من آثر السفر على القعود فلا يبعد أن يعود مورق العود (وفيه) ربما أسفر السفر عن النظر وتعذر فى الوطن قضاء الوطر

(باب ذم السفر)

فى الحديث المرفوع ان المسافر ومتاعه على قلت الا ما وقى الله * وقيل لبعض الحكماء ان السفر قطعة من العذاب فقال لا بل العذاب قطعة من السفر ونظمه من قال

ان العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنى الى ريق الحضر

وكان الحجاج يقول لولا فرحة الاياب لما عذبت أعدائى الا بالسفر وكان بعض الحكماء يقول السفر والسقم والقتال ثلاثة لثلاث السفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال ينبت المنايا (وقيل) السفر متعب مكرب والحديث يقصره ويسلى كربه (وكان يقال) طول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة * وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ من وعثاء السفر ويقال خمسة يعذرون على سوء الخلق المريض والمسافر والصائم والمصاب والشيخ (وفى المبهج) رب سفر كتحيفه أردت رب سفر كسقر

(باب مدح الغربة)

من أحسن ما قيل فى ذلك قول البرقعى

اذا النار ضاق بها زندها * ففسحتها فى فراق الزناد
اذا صارم قر فى غمده * حوى غيره الفضل يوم الجلاد
وفى الاضطراب وفى الاغتراب * منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك وجملك * وقال بعض الحكماء اهجر وطنك اذا نبت عنه نفسك وأوحش أهلك اذا كان فى ايحاشهم أنسك

وقال آخر
فلأن تشرق أو تغرب طالبا * وتكون فى الاقبال والادبار
خير وأكرم بالفتى من عيشة * ضنك يقوم بها على اقتار

وكان سهل بن مروان يقول لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه * ومن مشهور ما ينشد قوله
لا يمنعك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران

(وقال آخر)
الفقر فى أوطاننا غربة * والمال فى الغربة أوطان
والارض شئ كله واحد * ويختلف الجيران جيران

وقال غيره
اذا نلت فى أرض معاشا وثروة * فلا تكثرن فيها النزوع الى الوطن
فما هى الا بلدة مثل بلدة * وخيرهما ما كان عونا على الزمن

ولأبى فراس
والمرء ليس ببالغ فى أرضه * كالصقر ليس بصائد فى وكره

(وقال الطريفى)
أرى وطنى كعش لى وكن * أسافر عنه فى طلب المعاش
ولولا أن كسب القوت فرض * لما برح الفراخ من العشاش

(وللبستى)
لئن تنقلت من دار الى دار * وصرت بعد ثواء رهن أسفار
فالحر حر عزيز النفس حيث أتى * والشمس فى كل برج ذات أنوار

(باب ذم الغربة)

(كان يقال) النقلة مثلة والغربة كربة والفرقة حرقة (وقال بعض الحكماء) الغريب كالغرس الذى زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يزهر وذابل لا يثمر ويقال الغريب كالوحش النائى عن وطنه فهو لكل رام رمية ولكل سبع فريسة (وقال آخر) الغريب كاليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يرأف عليه ويقال عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك (ونظمه من قال)

لقرب الدار فى الاقتار خير * من العيش الموسع فى اغتراب

(وكان يقال) اذا كنت فى بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل ولبعضهم
يا نفس ويحك فى التغرب ذلة * فتجرعى كأس الاذى وهوان
واذا نزلت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

وقال آخر
ما من غريب وان أبدى مكابدة * الا تذكر بعد الغربة الوطنا

(وقال النابغة) خلى فى ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

(وقال الاعشى)

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى * ملوما ومظلوما مجراو محسبا

وتدفن منه الصالحات وان يسئ * يكن ما أسا كالنار فى رأس كوكبا

(وقال آخر) ومن ينأ عن دار العشيرة لم يزل * عليه رعود جمة وبروق

(وقال العتابى)

فيا ابن أبى لا تغترب ان غربتى * سقتنى بكف الضيم ماء الحناظل

(وقال آخر) وان اغتراب المرء من غير خلة * ولا همة يسمو لها لعجيب

وحسب الفتى ذلا وان أدرك الغنى * ونال ثراء أن يقال غريب

(وقال آخر) طلب المعاش مفرق * بين الاحبة والوطن

ومصير جلد الرجا * ل الى الضراعة والوهن

وقال البستى لا يعدم المرء كنا يستكن به * ومتعة بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم قلت مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

باب مدح الفراق

(قال بعض الحكماء) فى الفراق مصافحة التسليم ورجاء الاوبة والسلامة من السآمة وعمارة القلب بالشوق والانس بالمكاتبة قال أبو تمام

وليست فرحة الاوبات الا * بموقوف على ترح الوداع

وكتب بعض الكتاب جزى الله الفراق خيرا فما هو الا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل ثم تأميل وتوقع وقبح الله التلاقى فانما هو مسرة لحظة ومساءة أيام وابتهاج ساعة واكتئاب زمان وقال انى لا أكره الاجتماع ولا أكره الفراق لان مع الفراق غمة يخففها توقع اسعاف بتأميل الاوبة والرجعى ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور وقال الشاعر ليس عندى سخط النوى بعظيم * فيه غم وفيه كشف غموم

من يكن يكره الفراق فانى * أشتهيه للذة التسليم

ان فيه اعتناقة لوداع * وانتظار اعتناقة لقدوم

(وقال) بعض الظرفاء من الكتاب ان قلت انى لم أجد للرحيل ألما وللبين حرقة لقلت حقا الا انى نلت به من العناق وأنس اللقاء ما كان معدوما أيام الاجتماع ومما يليق قول البحترى فأحسن بنا والدمع بالدمع واكف * يمازجه والخد بالخد ملصق

وقد ضمنا وشي الفراق ولفنا * عناق على أعناقنا ثم ضيق
فلم تر الا مخبرا عن صبابة * بشكوى والا عبرة تترقرق
ومن قبل قبل التشكي وبعده * نكاد بها من شدة اللثم نشرق
ولو فهم الناس الفراق وحسنه * لحبب من أجل التلاقي التفرق

(وقال غيره) آه من حر دمعة المشتاق * ما ألذ البكاء عند الفراق
لذة الدمع عند بين حبيب * كعناق الحبيب وقت التلاقي

(باب ذم الفراق)

(كان يقال) ما خلق الفراق الا لتعذيب العشاق ويقال فراق الاحباب سقام الالباب وقال آخر حق الفراق أن تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطيح عليه النفوس * ويقال فراق الحبيب يشيب الوليد ويذيب الحديد * ويقال هول السياق أهون من الفراق وقال النظام لو كانت للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال ولجمر الغضى أهون توهجا من ناره ولو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا الى ما قبله من العذاب وقال الشاعر

لو أن مالك عالم بجوى الهوى * وفعاله بأضالع العشاق
ما عذب الكفار الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال آخر)

لو دار من تاد المنية لم يجد * غير الفراق الى النفوس دليلا
اني نظرت الى الفراق فلم أجد * للموت لو فقد الفراق سبيلا

فأخذه أبو الطيب المتنبي فقال

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

ولابي العباس أحمد بن ابراهيم بن أحمد الضبعي

لا تركنن الى الفرا * ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

(وقال بعض البلغاء) لا غرو أن يفرق الفراق بين الروح والبدن ويترك المبتلى به والاشتياق في قرن

(باب مدح البكاء)

(كان) يوسف عليه السلام اذا برح به الحزن على أبيه دخل وصب عبرته ثم خرج

﴿فصل﴾ لابي بكر الخوارزمي ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش من البكاء ولم يخفف من أثقالها بشيء من الاشتكاء تضاعف داؤها وزاد اعياؤها وعز دواؤها

﴿فصل﴾ لأبي اسحق الصابي ان في اسبال العبرة واطلاق الزفرة والاجهاش والنشيج واعلان الصياح والضجيج تنفيسا من برحاء القلوب وتخفيفا من أثقال الكروب (وقال امرؤ القيس)

وان شفائي عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

وقال آخر وبكيت ليلة هجرها من وصلها * وجرت مدامع أعيني كالعندم

أبكي وأمسح مدمعي في جيدها * من عادة الكافور امساك الدم

وقال آخر وما في الارض أشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا أبدا حزينا * لخوف تفرق أو لاشتياق

فيبكي ان نأوا شوقا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراق

وقال غيره لولا مدامع عشاق ولوعتهم * لبان في الناس عز الماء والنار

فكل نار فمن أنفاسهم قدحت * وكل ماء فمن دمع لهم جاري

وقال ذو الرمة لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي لحي بلابلا

(وقال ابن الرومي في ذكر العلة في تخفيف الهم بالبكاء)

الدمع في العين لا نوم ولا نظر * ولا لحالة من معنى له خلقا

ولم أجد ذلك المعنى وحقكما * الا البكاء اذا ما طارق طرقا

وقال أيضا رحمه الله تعالى ابك فمن أنفع ما في البكا * ان البكا للحزن تحليل

وهو اذا أنت تأملته * حزن على الخدين محلول

﴿فصل﴾ لابي الحسن بن أبي القسم القاشاني قد شفيت غليلي بما استدررته من أسراب الدموع المنحدرة وخففت عني بعض البرحاء بما امتريته من أخلافها المتحدرة

﴿باب ذم البكاء﴾

(قال بعض الحكماء) لبعض الملوك وقد رآه في مصيبة يبكي ليس يليق بالسلطان ماهو عادة الصبيان والنسوان * وكان محمد بن عبد الملك الزيات يقول ان البكاء من خور الطبيعة وضعف النحيزة وترك البكاء في الخطوب النزل من أخلاق القوم البزل

ولذلك قال الشاعر

يبكى علينا ولا نبكى على أحد * لنحن أغلظ أكبادا من الابل

(وقال أبو تمام) فى التجلد وترك البكاء عند المصيبة وقد أحسن

خلقنا رجالا للتجلد والاسى * وتلك الغوانى للبكا والمآتم

وللبحترى ولعمرى ما العجز عندى الا * أن تبيت الرجال تبكى النساء

(وقال ابن الرومى فى الرزايا وترك البكاء)

ترحل من هويت وكل شمس * ستكسف أو ستغرب حين تمسى

وما ألهاك عن ذكرى حبيب * كعهدك أمس يوما بعد أمس

أبت نفسى البكاء لرزء شئ * كفى شجوا لنفسى رزء نفسى

أأجزع وحشة لفراق الف * وقد وطأتها لحلول رمسى

رأيت الدهر يجرح ثم يأسوا * فيوسى أو يعوض أو ينسى

﴿باب مدح الرؤيا﴾

(قال عكرمة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث يعنى تأويل الرؤيا * وفى الخبر المرفوع ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات يارسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ثم قرأ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وفى الحديث ان الرؤيا جزء واحد من ستة وأربعين جزأ من النبوة ويقال الرؤيا الصالحة قرة للعين وقوة للظهر والهند تقول من رأى رؤيا صالحة فكأن كمن لم ينم ومن لم ينم فقد زيد فى عمره لان النوم أخو الموت * وقال بعض العلماء الرؤيا الصالحة بشارة وفى العمر زيادة * وقال آخر الرؤيا الصالحة هى البشرى بالنعمى (وقال بعض الظرفاء) مرحبا بالرؤيا فانها تجمع بين الحبيبين وان كان بينهما بعد المشرقين

﴿باب ذم الرؤيا﴾

أحسن ما قيل فى ذلك قول بعض المجربين لعن الله الرؤيا لخيرها غائب وشرها حاضر وأصدقها ما يوجب الغسل وقال ابن بسام

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى * ورؤياى بعد النوم أدهى وأقبح

فان كان خيرا كان أضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

وفى معناه قول الشاعر

وأحلم فى المنام بكل خير * فأصبح لا أراه ولا يرانى
وان أبصرت شرا فى منامى * أتانى الشر من قبل الاذان

(وقال داود المصاب) رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل رأيت كأنى أعطيت بدرة فمن ثقلها أحدثت فى سراويلى فانتبهت فرأيت الحدث ولم أر البدرة * أنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان للاحنف العكبرى

قيل رؤيا المنام عندك حق * قلت هيهات كل ذاك مجاز
ليس يقظانهم يصح له الامر فكيف المغطغط النحاز

(وحكى) ابن سيرين أن رجلا رأى فى المنام كأن له غنما تطلب منه عشرة بعشرة وليس يبيعها فلما انتبه وفتح عينيه لم ير شيأ فغمضهما ومد يده وقال هاتوا خمسة خمسة

باب مدح الهدية

(فى الخبر المرفوع) تهادوا تحابوا وتصافحوا فان التصافح يذهب غل الصدور وتهادوا فان الهدية تسل السخيمة قال الشاعر

ان الهدية حلوة * كالسحر تختلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا
وتعيد معتضد العدا * وتبعد نفرته حبيبا

(وقال ابن عائشة) الهدية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدب الملوك وعمارة المودة بين الاخوان * وكان يقال أهدوا للولاة فانهم ان لم يقبلوا أحبوا وكان الفضل ابن سهل ذو الرياستين يقول ما أرضى الغضبان واستعطف السلطان ولا سلت السخائم ولا رفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية * ومن أحسن ما قيل فى الاهداء الى الملوك قول أحمد بن يوسف المأمونى

على العبد حق فهو لابد فاعله * وان عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدى الى الله ماله * وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

(وكتب) بعض الكتاب الى صديق له وجدت المودة منقطعة ما دامت الحشمة عليها مسلطة وليس يزيل سلطان الحشمة الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة الا بالمهاداة والملاطفة (وكتب) أبو العيناء الى بعض الوزراء قد بعثت الى الوزير بباكورة عنب فان كنت

سبقت المهدين لها فلي فضل السبق وان كنت مسبوقا فلي فضل النية ويقال من قدم هديته نال أمنيته ومن قدم المؤنة ظفر بالمعونة وقال بعض السلف نعم الشئ الهدية أمام الحاجة (وقال آخر) الهدية تفتح الباب المغلق وقال آخر الهدايا تذهب الشحناء والهدية رزق الله فمن أهدى اليه فليقبله (وقال بعض العلماء) لعظم خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر قالت ملكة سبأ واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وقال الشاعر

للهدايا في القلوب مكان * وحقيق يحبها الانسان

وقال الشاعر اذا دخل الهدية دار قوم * تطايرت العداوة من كواها

باب ذم الهدية

أهدى الى عمر بن عبد العزيز هدية فردها فقيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها فقال كانت له هدية وهي لنا رشوة وقد لعن الله الراشي والمرتشي والرائش * وقال بعض السلف الهدية للعامل غلول وفي عمل السلطان رشوة (وأهدى) الى دهقان هدية فكرهها وأظهر الجزع فعاتبه بعض من صاحبه فقال لئن كان ابتدأني بها انه ليدعوني الى أن أتقلد منه منة ولئن كافأني على معروف لي عنده انه ليسألني أخذ ثمن ذلك فمن اي هذين لا أجزع

باب مدح الدين

كانت عائشة رضي الله عنها تستدين من غير حاجة فقيل لها في ذلك فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان عليه دين وفي نيته قضاؤه فان الله معه حتى يقضيه فأنا أحب ان يكون الله معي * وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما المستدين تاجر الله في أرضه وفي الحديث مكتوب على باب الجنة القرض بثمان عشرة والصدقة بعشر امثالها قيل ولم ذلك يارسول الله قال عليه الصلاة والسلام ان الصدقة ربما وقعت في يد غني عنها وصاحب القرض لا يستدين الا من حاجة وضرورة (دخل) عتبة ابن عمر على خالد القسري فقال خالد يعرض به ان ههنا رجالا اذا فنيت أموالهم استدانوا فقال عتبة ان رجالا تكون أموالهم اكثر من مروآتهم فلا يدانون ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فيدانون على سعة الله فخجل خالد وقال انك منهم وما علمت * ويقال كثرة الدين من علامات المفضلين وقال بعض السلف لان أقرض مالي

مرتين أحب الى من أن أتصدق به مرة واحدة وفى الخبر من أراد أن يأخذ دينارا وهو ينوى قضاءه بارك الله فيه وأعانه على قضائه

﴿باب ذم الدين﴾

(فى الخبر) لا وجع كوجع العين ولا غم كغم الدين وقال عليه الصلاة والسلام الدين شين الدين وكان يقال صاحب الدين ذليل بالنهار مهموم بالليل وقال بعض السلف الدين غل الله فى أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعل منه طوقا فى عنقه (وقال العتبي) الدين عقلة الشريف * وسأل عمرو بن عبيد عن صديق له فقيل قد توارى من دين ركبه فقال ذاداء طالما وفد الى الكرام وقال عبد الملك بن صالح مااسترق الاحرار بمثل الدين * ومن أحسن ماقيل فى هذا الباب قول الخباز البلدى

اذا استثقلت أو أبغضت خلقا * وسرك بعده حتى التنادى

فشرده بقرض دريهمات * فان القرض مقراض الوداد

(وقال ابن المعتز) كثرة الدين تصير الصادق كاذبا والمنجز مخلفا

﴿باب مدح الشباب﴾

(فى الحديث المرفوع) أوصيكم بالشبان خيرا فانهم أرق أفئدة ان الله بعثنى بشيرا ونذيرا فخالفنى الشبان وخالفنى الشيوخ ثم قرأ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم (وكان) عطاء الخراسانى يقول الحوائج الى الشبان أسهل منها الى الشيوخ ألم تر أن يوسف عليه السلام قال لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال ابوهم سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم * وقال الصولى فى كتاب فضل الشباب على الشيب الذى ألفه للمقتدر ان الشيب لا يقدم مؤخرا ولا يؤخر مقدما بل ربما عدل بجلائل الأمور ومهمات الخطوب عن المشايخ الى الشبان لاستقبال أيامهم وسرعة حركاتهم وحدة أذهانهم وتيقظ طباعهم لانهم على ابتناء المجد أحرص واليه أصبى وأحوج وقد أخبر الله تعالى عن اعطاء يحيى بن زكريا عليهما السلام الحكمة فى سن الصبا بقوله يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وذكر الفتية فى كتابه العزيز فى غير ماموضع اذ أوى الفتية الى الكهف وقال انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم وقال فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا (وقال بعض البلغاء) الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار

بوا كبرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال مابعث الله نبيا من الانبياء الا شابا ولا أوتي العلم عالم الا وهو شاب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم (وقال الجاحظ) في قول أبي العتاهية

ان الشباب حجة التصابي * روائح الجنة في الشباب

معنى كمعنى الطرب الذي تشهد بصحته القلوب وتعجز عن صفته الالسن * ومن أحسن ماقيل في مدح الشباب والتأسف عليه قول محمد بن حازم الباهلي

لاحين صبر فخل الدمع ينهمل * فقد الشباب بيوم الموت متصل
لاتكذبن فما الدنيا بأجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل

ولما انشد منصور النميري الرشيد قوله

ماتنقضي حسرة مني ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بشرته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كنه عزته * حتى مضى فاذا الدنيا له تبع

بكى الرشيد حتى اخضلت لحيته ثم قال يانميري لاخير في دنيا لا يخطى فيها برد الشباب

(ومن أحاسن هذا الباب قول ابن الرومي)

لاتلح من يبكي شبيبته * الا اذا لم يبكها بدم * لسنا نراها حق رؤيتها
الا أوان الشيب والهرم * ولرب شئ لا يبينه * وجدانه الا مع العدم
كالشمس لاتبدو فضيلتها * حتى تغشي الارض بالظلم

وله أيضا في نسيب قصيدة

أيا برد الشباب لكنت عندي * من الحسنات والقسم الرغاب
لبستك برهة لبس ابتذال * على علمي بفضلك في الثياب
ولو ملكت صونك فاعلمنه * لصنتك في الحرير من الغياب
ولم ألبسك الايوم فخر * ويوم زيارة الملك اللباب

وقال الشيخ لو قال لصنتك في الفؤاد من الغياب لكان أولى

(باب ذم الشباب)

يقال الشباب مطية الجهل ومظنة الذنوب وشعبة من الجنون (وقال النابغة)

وان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب

وقال العتبي قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر
ويقال سكر الشباب أشد من سكر الشراب (وقال ابن المعتز) جاهل الشباب معذور وعالمه محقور (وكان) يقول نعوذ بالله من ترهات الشبان ونزغات الشيطان وقال أبو الطيب محمد بن حاتم المصعبي وأجاد

لم أقل للشباب فى كنف الله ولا ستره غداة استقلا
زائر المرزل مقيما الى أن * سود الصحف بالذنوب وولى

﴿باب مدح الشيب﴾

فى الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نورى والنار خلقي وأنا أستحى أن أحرق نورى بنارى (وكان) يقال الشيب حلية العقل وسمة الوقار وقال دعبل الخزاعى

أهلا وسهلا بالمشيب فانه * سمة العفيف وهيئة المتحرج
وكأن شيبي نظم در زاهر * فى تاج ذى ملك أغر متوج

(وقال طريح بن اسمعيل الثقفى)

والشيب ان يحلل فان وراءه * عمر يكون خلاله متنفس
لم ينتقص مني المشيب قلامة * ولكن حين بدا ألذوأ كيس

وكان يقال الشيب زبدة مخضتها الايام وفضة سبكتها التجارب وكان بعض الحكماء يقول اذا شاب العاقل سرى فى طريق الرشد بمصباح الشيب ووصف بعض البلغاء رجلا شاب وارعوى عن مجاهل الشباب فقال ذاك قد عصى شياطين الشباب وأطاع ملائكة الشيب (وقال) على رضي الله عنه مشهد الشيخ خير من مشهد الغلام وقال ابن المعتز عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم الصغير فانه أغر بالدنيا منك وكان يقال الشيخ يقول عن عيان والشاب عن سماع وقال أبو تمام

فلا يروعنك ايماض المشيب به * فان ذاك ابتسام الرأى والأدب

﴿وقال أبو السمط﴾

ان المشيب رداء العقل والادب * كما الشباب رداء اللهو والطرب

وقال دعبل أحب الشيب لما قيل ضيف * كحبي للضيوف النازلينا

﴿وقال البحترى﴾

وبياض البازى أصدق حسنا * ان تأملت من سواد الغراب

(وله) عـذلتنا في عشقها ام عمرو * هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيـب فريعت من ظلمة في شروق
ولعمري لولا الاقاحى لابصر * ت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لولم يحلح * ببياض ماكان بالموموق
أي ليل يبهى بغير نجوم * وسحاب يندى بغير بروق

(وقال ابن الرومي)

قد يشيب الفتى وليس عجيبا * أن ترى النار في القضيب الرطيب

(والبديع الهمداني) فصل في مدح الشيب وذم الشباب جزى الله المشيب خيرا فانه أناه ولا رد الشباب فانه هناه وبئس الداء الصبا وليس دواؤه الا انقضاؤه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرا كضان الليل والنهار وأظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الاول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولا اشتعل الاول نارا واشتهر الآخر نورا فالحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ان السعيد من شابت جملته ولم تخص بالبياض لحيته وقال أيضا في الشيب

يا من يعلل نفسه بالباطل * نزل المشيب فمرحبا بالنازل
ان كان ساءك طالعات بياضه * فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل
لا تبكين على الشباب وفقده * لكن على الفعل القبيح الحاصل
يا غافلا عن ساعة مقرونة * بنوادب وصوارخ ونواكل
قدم لنفسك قبل موتك صالحا * فالموت أسرع من نزول الهاطل
حتام سمعك لا يعي لمذكر * وصميم قلبك لا يلين لعاذل
تبغي من الدنيا الكثير وانما * يكفيك من دنياك زاد الراحل
آي الكتاب تهز سمعك دائما * وتصم عنها معرضا كالغافل
كم للاله عليك من نعم ترى * ومواهب وفوائد وفواضل
كم قد أنالك من مواهب طوله * فاسأله عفوا فهو غوث السائل

﴿باب ذم الشيب﴾

قال عبيد بن الابرص الشيب شين لمن يشيب وقال قيس بن عاصم الشيب خطام

المنية وقال أكثم بن صيفي الشيب عنوان الموت وقال الحجاج الشيب بريد الموت وقال مالك بن أنس الشيب توأم الموت وقال العتبي الشيب مجمع الامراض وقال العتابي الشيب نذير المنية وقال غيره الشيب شر العمائم وقال محمود الوراق الشيب غمام قطره الغموم وقال ابن المعتز الشيب أول مواعيد الفناء وقال القاحم الشيب ناعي الشباب ورسول البلاء وقال غيره الموت ساحل الحياة والشيب سفينة تقرب من الساحل وقال ابن عائشة الشيب قناع الموت وقال يونس النحوي الشيب مجمع كل عيب وقال ابن شكلة الشيب أحد الموتتين ومن أحسن ماقيل في ذم الشيب قول أبي تمام

غدا الشيب مختطا بفودي خطة * طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع * ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نزجيه على الكره والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

﴿وللشافعي رضي الله تعالى عنه﴾

ولذة عيش المرء قبل مشيبه * وقد فنيت نفس تولى شبابها
اذا اسود حلد المرء وابيض شعره * تكدر من أيامه مستطابها

غيره

سألت من الاطبة ذات يوم * طبيبا عن مشيبي قال بلغم
فقلت له على غير احتشام * لقد أخطأت فيما قلت بل غم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

تضاحكت لما رأت * شيبا تلألأ غرره * قلت لها لاتعجبي
أنبيك عندي خبره * هذا غمام للردى * ودمع عيني مطره

وقال آخر

من شاب قدمات وهو حي * يمشي على الارض مشي هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * لكان في شيبه كذلك

﴿باب مدح الخضاب﴾

كان يقال الخضاب أحد الشبابين ويقال الخضاب تذكرة الشباب ومن أحسن ماقيل في مدحه الشيب موتي ولكن في اماتته * محيا ليال قليلات وأيام
وقال ابن المعتز وقالوا النصول مشيب جديد * فقلت الخضاب شباب جديد

اساءة هذا باحسان ذا * وان عاد ذاك فهذا يعود

وقال آخر للضيف أن يقرى و يعرف حقه * فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

وأظرف ما قيل في الخضاب قول عبدان الاصفهاني

في مشيبي شماتة لعداتي * وهو ناع منغص لحياتي
و يعيب الخضاب قوم وفيه * لي أنس الى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر مني * ما به رمت خلة الغانيات
انما رمت أن يغيب عني * ما ترينيه كل يوم مراتي
وهو ناع الى نفسي ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

(باب ذم الخضاب)

قال الاسكندر لرجل خضب الشيب هب انك خضبت الشيب فكيف تخضب سائر آثار الكبر (وقال ابن المعتز) الخضاب من شهود الزور وقال ابن الرومي الخضاب حداد الشباب وقال آخر الخضاب كفن الشيب ولبعضهم

يا خاضب اللحية ما تستحي * تشارك الرحمن في صبغته
أقبح شئ شاع بين الورى * ان الفتى يكذب في لحيته

غيره قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعي و يا بصري
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب * تكاثر الغش حتى صار في الشعر

(وقال محمود الوراق)

يا خاضب الشيب الذي * في كل ثالثة يعود * ان النصول اذا بدا
فكأنه شيب جديد * بدويه تروعية * مكروهها أبدا عتيد
فدع المشيب كما أرا * د فلن يعود كما تريد

(وقال آخر) خضبت شيبي ليخفى * وكان ذاك لعله
فقيل شيخ خضيب * قد زاد في الطين بلة

وقال آخر يا خاضب الشيب بالحنا ليستره * سل الاله له سترا من النار

(وقال أبو الطيب المتنبي)

ومن هوى كل ما كانت مموهة * تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته * رغبت عن شعر في الوجه مكذوب

(وقال غيره)

تولى الجهل وانقطع العتاب ، ولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبي * فكيف تحبني الخود الكعاب

﴿باب مدح المرض﴾

(حدث) الصولى عن أبي ذكوان قال سمعت ابراهيم بن العباس يصف لي الفضل بن سهل وتقدمه ويصف علمه وكرمه فكان مما حدثني به انه قال برأ الفضل من علة عرضت له فجلس للناس وهنوه بالعافية فلما فرغوا من كلامهم قال لهم ان في المرض لنعما لا ينبغي للعقلاء أن يجحدوها منها تمحيص للذنوب وتعرض للثواب والصبر وايقاظ من الغفلة واذكار للنعمة الموجودة في الصحة ورضا بما قدر الله وقضاه واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة فحفظ الناس كلامه ونسوا ما قال غيره (وكان) يقال مرارة السقم توجد حلاوة العافية وفي الخبر ان المريض يخرج من مرضه نقيا من الذنوب كيوم ولدته أمه وفي الخبر أيضا ان المريض لتتساقط خطاياه كما يتساقط الورق من الشجر في الخريف (وكان) طاوس يقول دعاء المريض مستجاب أما سمعت قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه والمريض مضطر جدا وفي خبر آخر حمى ليلة كفارة سنة (وقال بعض العلماء) رب مرض يكون تمحيصا لا تنغيصا وتذكيرا لا تنكيرا وأدبا لا غضبا (وقال ابن المعتز) قلت لبعض فقهائنا وأنا عليل وقد سألني عابد بحضرته عن حالي فقال لي كيف أنت فقلت أتراني ان قلت في عافية كنت كاذبا فقال لا قد قال بعض الصالحين اذا أعلك الله في جسدك فقد أصحك من ذنوبك

﴿باب ذم المرض﴾

كان يقال الصحة تشبه الشباب والمرض يشبه الهرم وقيل لا رفيق أرفق من الصحة ولا عدو أعدا من المرض (وقال آخر) شيآن لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والشباب (وقال بزرجمهر) ان كان شئ فوق الموت فهو المرض وان كان شئ مثله فهو الفقر وان كان شئ فوق الحياة فهو الصحة والشباب وان كان شئ مثلهما فهو الغنى (وقال ابن المعتز) المرض حبس البدن كما أن الهم حبس الروح (وقال بشار)

اني وان كان جمع المال يعجبني * لا يعدل المال عندي صحة الجسد
المال زين وفي الاولاد مكرمة * والسقم ينسيك ذكر المال والولد

(وللمتنبي) واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى

(باب مدح الموت)

في الحديث المرفوع الموت راحة (وقال) بعض السلف مامن مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول وماعند الله خير وأبقى وان كان مسيئا فانه تعالى يقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما (وقال) ميمون بن مهران بت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسألته الله الموت فقلت يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي بقائك راحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح يوسف بن يعقوب عليهما السلام حين أقر الله عينيه وجمع له أمره قال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين (وقالت) الفلاسفة لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسان أنه حي ناطق ميت (وقال بعض السلف) الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه وقال آخر رب موت كالحياة قال الشاعر وما الموت الا راحة غير أنها * من المنزل الفاني الى المنزل الباقي

(وقال آخر)

جزى الله عنا الموت خيرا فانه * أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الاذى * ويدني من الدار التي هي أشرف

(وقال منصور الفقيه)

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأسرفوا * في الموت ألف فضيلة لو تعرف
* منها أمان لقائه بلقائه * وفراق كل معاشر لا ينصف

(وقال أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب)

من كان يرجو أن يعيش فانني * أصبحت أرجو أن أموت فاعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أنها * عرفت لكان سبيله أن يعشقا

(وقال ابن لنكك البصري)

نحن والله في زمان غشوم * لو رأيناه في المنام فزعنا

أصبح الناس فيه من سوء حال * حق من مات منهم أن يهنا

شعر ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا * والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص على عمل تكون اذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا

﴿باب ذم الموت﴾

(قال) صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات فانه ما ذكر في قليل الا كثره ولا في كثير الا قلله أي ما ذكر في كثير من العمل الا كثره لان تفكر ساعة خير من عمل ستين سنة ولا في كثير من الامل الا قلله أي باعتبار ما ينشأ عنه من تقتير الهمم والعزائم ولكن حجاب الغفلة وطول الامل شغل معظم الخلق قال

ونحن في غفلة عما يراد بنا * ننسى لشقوتنا من ليس ينسانا

ولبعضهم وما هذه الايام الا صحائف * يؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق
ولم أر في دهري كدائرة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وفي بعض الآثار عن النبي المختار الامل رحمة من الله لامتي (وقال الشاعر)

يا موت ما أجفاك من نازل * تنزل بالمرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها * وتأخذ الواحد من أمه

(وقال آخر) وكل ذي غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

(وقال بعضهم) الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيها سهام المنايا (وقال ابن المعتز) الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك (وقال بعض السلف) الموت أشد ما قبله وأهون ما بعده (ونظر) الحسن الى ميت يدفن فقال ان شيأ هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره وان شيأ هذا آخره لحقيق أن يزهد أوله (وسئل) بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها أضل خبره قال الشيخ يعني أخفى خبره وعفا أثره (وقال المتنبي)

اذا ما تأملت الزمان وصرفه * تيقنت أن الموت ضرب من القتل
وما الموت الا سارق دق شخصه * يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

وقال أيضا نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف ما لا بد من شربه
يموت راعي الضأن في جهله * موتة جالينوس في طبه

(وقال) ابن المعتز كأن من غاب لم يشهد ومن مات لم يولد (وقال أيضا) الميت يقل

الحسد له ويكثر الكذب عليه

﴿باب مدح السواد﴾

أحسن ماقيل فيه قول أبي يوسف القاضي وقد جرى بين يدي الرشيد ذكر السواد من بين الالوان يا أمير المؤمنين من فضائل السواد أنه لم يكتب كتاب الا به حتى كتاب الله تعالى (وكان) يقول النور في السواد يعني سواد الناظر وقد أكثر الشعراء في مدح السواد ووصفه * فمن أحاسنه قول أبي حفص في جارية له

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة ما كنت أو قاعده
لاشك اذ عرفكما واحد * أنكما من طينة واحده

(وقال ابن العبسي)

ان سعدي والله يكلأ سعدي * ملكت بالسواد رق سوادي
أشبهت ناظري وحبة قلبي * فهي في العز ناظري وفؤادي
لن يرى الناظرون شيأ وان أشرق حسنا الا بنور السواد

(وقال بعض الكتاب في غلام أسود)

قالوا عشقت من البرية أسودا * مهلا علقت بأضعف الاسباب
فأجبتهم مافي البياض فضيلة * وأرى السواد نهاية الطلاب
أهوى السواد لان شيبي أبيض * يردى الفتى وأحب لون شبابي
وكذاك في الكافور برد قاطع * والمسك أصبح سيد الاطياب
وبه تزين كف كل خريدة * وبه تتم صناعة الكتاب
والله ألبس أهل بيت محمد * لون السواد فكف عنك عتابي

(وقال ابن الرومي وزاد عليه)

غصن من الآبنوس ركب في * مؤتزر معجب ومنتطق
سوداء لم تنتسب الى برص الشقر ولا لمعة من البهق
أكسبها الحب أنها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق
فانصرفت نحوها الضمائر وال * أبصار يعنقن أيما عنق
وبعض مافضل السواد به * والحبر ذو سلم وذو يقق
أن لاتعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

﴿وقال بعض الظرفاء﴾

* يكون الخال في خد قبيح فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف بخد * يراه كله في العين خالا

(وقال الصابي في غلام أسود)

لك وجه كأنما خضب السو * داء قلب عن التصبر خالي
فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالي
لم يشنك السواد بل زدت حسنا * انما يلبس السواد الموالي

﴿لطيفة﴾ قيل ان هرون الرشيد جلس ذات يوم وبين يديه جاريتان احداهما سوداء والاخرى بيضاء فتعاتبت الجاريتان وتنادمتا ثم ان كل واحدة منهما أنشدت شعرا تمدح نفسها وتذم صاحبتها ثم ان السوداء أنشدت تقول

ألم تر أن المسك لاشيء مثله * وان بياض اللفت حمل بدرهم
وان سواد العين لاشك نورها * وان بياض العين لاشيء فافهم

فأجابتها البيضاء وقالت

ألم تر أن الدر لاشيء فوقه * وأن سواد الفحم حمل بدرهم
وان رجال الله بيض وجوههم * وان الوجوه السود أهل جهنم

فاستحسن الرشيد قولهما وخلع عليهما (وقال ابن المعتز) يامسكة العطار وخال وجه النهار

﴿باب ذم السواد﴾

أحسن ماقيل في ذم السواد قول الاوزاعي السواد لا يلبي فيه محرم ولا يكفن فيه ميت مسلم ولا تجلى فيه عروس (وقال) الماهاني لصديق له لم أولعت بالسودان فقال لانهن أسخن فقال الماهاني للعين (وقال) أحمد بن أبي الطيب السرخسي من معايب السودان أنه لا يظهر فيهم أثر الحياء والخجل ولم يتخذ الله منهم نبيا (وقال أبو حنش)

رأيت أبا الخنساء في الناس جائرا * ولون أبي الخنساء لون البهائم
تراه على مالاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

(وقال) اللحام في هجاء أسود

ويبرز للرائين وجها كأنما * كساه اهابا من قشور الخنافس

وقد

وقد أحسن كشاجم فى هجاء رجل أسود جائر

يامشبهاً فى فعله لونه * لم تعد ما أوجبت القسمة

فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

﴿باب مدح الغوغاء والسفهاء﴾

فى الخبر ان الله ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم (وكان) الاحنف بن قيس يقول أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم النار والعار (وذكر محمد بن جعفر) رضى الله تعالى عنهما الغوغاء فقال انهم ليطفئون الحريق ويستنقذون الغريق ويسدون البثوق (وكان) الشافعى رحمة الله تعالى عليه يقول لابد للفقيه من سفيه يناضل معه ويحامى عليه (وكان) سعيد بن سالم يقول ينبغى للرئيس أن يأخذ فى ارتباط السفهاء من الغوغاء وفيه يقول الشاعر

وانى لاستبقى امرء السوء عدة * لعدوة عريض من القوم جانب

أخاف كلاب الابعدين رهرشها * اذا لم تجاوبها كلاب الاقارب

﴿باب ذم الغوغاء والسفهاء﴾

ذكرهم واصل بن عطاء فقال ما اجتمعوا قط الا ضروا وما تفرقوا الا نفعوا فقيل له قد عرفنا مضرة الاجتماع فما منفعة الافتراق فقال يرجع الحائك الى حياكته والطيان الى مطينته والفلاح الى فلاحته وكل ذلك من مرافق المسلمين ومعاون المحتاجين (وقال) الجاحظ العاغة والباقة والاغبياء والسفهاء كأنهم أغرار عام واحد وهم فى بواطنهم أشد تشابها من التوأمين فى ظواهرهما وكذلك هم فى مقادير العقول وفى الاعتزام والتسرع وفى الاسنان والبلدان (وقد) ذكر الله تعالى ذكره رد قريش ومشركى العرب على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ألفاظهم ومعانيهم ومقاديرهم التى كانت فى زمان ما كان من جميع الامم مع أنبيائهم فقال عز وجل تشابهت قلوبهم الآية « فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا ومثل هذا كثير ألا ترى انك لا تجد أبدا فى كل بلدة وعصر الحاكة فيها الاعلى مقدار واحد وجهة واحدة من السخف والخمول والغباوة والظلم وكذلك النخاسون على طبقاتهم من أصناف ما يبيعون ويبتاعون وكذلك السماكون والقلاشون على مثال واحد وجهة واحدة * وكل حجام فهو شديد

الحرص على شرب النبيذ وقد اختلفوا فى البلدان والأجناس والانساب (وكان المأمون) يقول كل شر وضر فى الدنيا انما هو صادر عن السفهاء والغاغة فانهم قتلة الأنبياء والأولياء والاصفياء وهم المضربون بين العلماء والنماموں بين الاوداء والساعون الى السلاطين ومنهم اللصوص والسراق والقطاع والطراروں والجلادون ومثير والفتن والمغيرون على الأموال فاذا كان يوم القيامة جروا على عادتهم فى السعاية يقولون ما حكى الله عنهم ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا

﴿باب مدح العمى﴾

(قال) الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل لقتادة ما بال العميان أذكى وأكيس من البصراء قال لان أبصارهم تحولت الى قلوبهم * وقال الجاحظ العميان أذكى وأحفظ وأذهانهم أقوى وأصفى لانهم غير مشتغلى الافكار بتمييز الأشخاص ومع النظر تشعب الفكر ومع اطباق العين اجتماع القلب (ولذلك) قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما

ان يأخذ الله من عينىّ نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

(وقال) يعيرنى الاعداء والعار فيهم * وليس بعار أن يقال ضرير
اذا أبصر المرء المروءة والتقى * وان عمى العينان فهو بصير

(وقد عير) بعضهم أعمى وكان لسنا فصيحا فقال يهجوه و يعرض بدائه

ليس العمى داء ولكنه * شطفة تشريف على ضره
ما الهم والداء وكل البلا * الا ابتلاء المرء فى دبره
فالحمد لله الذى صاننا * مما يحار الطير فى أمره

(وقال الشاطبى رحمه الله)

ان أذهب الله من عينى نورهما * فان قلبى مضىء ما به ضرر
أرى بقلبى دنياى وآخرتى * والقلب يدرك ما لا يدرك البصر

(وقال) رجل لبشار ما سلب الله من عبد كريمتيه الا عوضه عنهما فما الذى عوضك عن عينيك فقال فقدا لنظر الى بغيض مثلك (وقال) أبو يعقوب الخزيمى من فضائل

العمى

العمى ومن اتفق له اجتماع الرأى والذهن وقوة الادراك والحفظ وسقوط الواجب من الحقوق والامان من فضول النظر الداعية الى الذنوب وفقد رؤية الثقلاء والبغضاء وحسن العوض عن سراجى الوجه فى دار الثواب وقال منصور الفقيه

يا معرضا لازدرائى * لما رآنى ضريرا كم قد رأيت بصيرا * أعمى وأعمى بصيرا
قل لى وان أنت أنصفت قلت خلقا كثيرا

﴿باب ذم العمى﴾

أحسن ما قيل فيه قول الشاعر

لا تلومن فى السفاهة أعمى * فسكوت اللبيب عنه صواب
كيف يرجو الحياء منه صديق * ومكان الحياء منه خراب

(وقال) الجاحظ رأيت ضريرا بباب الكرخ يقول ارحموا ذا الزمانتين فقلت أما احداهما فالعمى فما الاخرى قال عدم الصوت أما ترى الشاعر كيف يقول

أرى شيئين ان عدما * لخير منهما الموت فقير ماله مال * وأعمى ماله صوت

وينشد سمعت أعمى قال فى مجلس * ياقوم ما أوجع فقد البصر
فقال من بينهم أعور * من العمى عندى نصف الخبر

(وقال) منصور الفقير

جعلت الجدار دليلى عليك * لانى أرانى مثل الجدار
وصار نهارى وليلى سوا * وقد كان ليلى مثل النهار

﴿باب مدح السجن﴾

أحسن ما قيل فيه قول على بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غابه * كبرا وأوباش السباع تردد
والبدر يدركه المحاق فتنجلى * أيامه وكأنه متجدد
ولكل حال معقب ولربما * اجلى لك المكروه عما تحمد
والسجن مالم تغشه بدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم محله * فيزار فيه ولا يزور ويقصد

(وأحسن) ما قيل فى تسلية المسجونين قول البحترى

اما فى رسول الله يوسف اسوة * لمثلك محبوسا على الضيم والافك
اقام جميل الصبر فى السجن برهة * فافضى به الصبر الجميل الى الملك

(وقال البستى)

فديتك ياروح المكارم والعلى * بأنفس ماعندى من الروح والنفس
حبست فمن بعد الكسوف تبلج * تضىء به الآفاق كالبدر والشمس
فلا تعتقد للحبس هما او وحشة * فقبلك قدما كان يوسف فى الحبس

وقال آخر

بنفسى من لم يضربوه لريبة * ولكن ليبدوا الورد فى سائر الغصن
ولم يودعوه السجن الا مخافة * من العين ان تعدو على ذلك الحسن
وقالوا كما شاركت فى الحسن يوسفا * فشاركه أيضا فى الدخول الى السجن

(ومن) أبلغ ماقيل فى الاهانة بالحبس والضرب قول بعض الاعراب

وما الحبس الا ظل بيت سكنته * وما السوط الا جلدة وافقت جلدا

﴿باب ذم السجن﴾

كتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلاء وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء وقبور الاحياء (وكتب) بعض المحبوسين الى صديق له كتبت اليك من دار لست لها مالكا ولا مرتهنا ولا مكتريا وليست بوقف على ولست فيها ضيفا ولا زائرا فقال انا لله وانا اليه راجعون كتبه من السجن (وقال شاعر من المسجونين)

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(وقال) عبد الملك بن عبد العزيز وكان فى حبس الرشيد

ومحلة تهمل المكارم أهلها * وتقلدوا مشنوأة الاسماء
دار يهاب بها اللئام وتتقى * وتقل فيها هيبة الكرماء
ويقول علج ماأراد ولا ترى * حرا يقول برقة وحياء
ويرق عن مس الملاحة وجهه * فيصونه بالصمت والاغضاء

﴿باب مدح التعليم﴾

أحسن وأجمع ماسمعت فى مدح التعليم قول أبى زيد البلخى فى رسالة كتبها الى من

غيره بأنه معلم ليس يستغني عن التعلم والتعليم أحد لأن الخاصة والعامة تضطر اليهما في جميع الديانات والصناعات والآداب والأنساب والمكاسب والمذاهب فما يستغني كاتب ولا حاسب ولا صانع ولا بائع ولا أحد في كل مذهب ومكسب أن يتعلم صناعة ممن هو أعلم منه و يعلم من هو أجهل منه وقوام الخلق بالتعلم والتعليم فالمعلم أفضل من المتعلم لان صفة المعلم دالة على التمام والافادة وصفة المتعلم دالة على النقصان والاستفادة وحسبك جهلا من رجل يذم ما وصف به الخالق نفسه ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وقال وعلمناه من لدنا علما وقال الرحمن علم القرآن وقال في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعلمهم الكتاب والحكمة الآية

﴿باب ذم التعليم﴾

أحسن ما قيل في ذم المعلم قول الشاعر

وكيف يرجى العقل والحلم عند من * يروح الى أنثى و يغدو الى طفل

وقال آخر يهجو معلما

معلم صبيان وحامل درة * وليس له عقل بحبة ال ذرة

(وقال الحمدوني)

معلم صبيان يروح ويغتدى * على انفه ألوان ريح فسائهم
وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم * و رفعهم أصواتهم ونداءهم
و يستخدم الغلمان ثم ينيكهم * و يقتلهم جوعا بأكل غذائهم

﴿وقال آخر﴾

ان المعلم حيث كان معلما * ولو ابتني فوق السماك بناءه *
أو كان علم ساعة من دهره * أو كان علم آدم الاسماء
لابد من نقص يكون بعقله * فاخلص بنفسك حيث كان الداء

(وقال الجاحظ) عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك (وقيل) مر معلم في النظارة الى بعض الحروب فأصابت رأسه نشابة و بقيت فيه فلما أريد نزعها منه قال جار له ارفقوا به لا تصيبوا دماغه فقال انزعوها كيف شئتم فلو كان لي دماغ ما خرجت في النظارة الى الحرب (وقيل) لمعلم ان معلما لا تكن أحمق فقال حمق موروث

﴿باب مدح الرقيب﴾

(قال بعض الظرفاء) لا أقوم بواجب شكر الرقيب لانه حفيظ على الحبيب كما يمنعه مني يمنعه من غيري وأنشد

موقف للرقيب ما أنساه * لست أختاره ولا آباه
مرحبا بالرقيب من غير وعد * جاء يجلو على من أهواه
لا أحب الرقيب الا لأني * لا أرى من أحب حتى أراه

(ويقال) الرقيب ثاني الحبيبين

﴿باب ذم الرقيب﴾

قد جرى المثل بثقل الرقيب وحسن توقع فقده ومن أحسن ما قيل في ذمه قول ابن الرومي

ما بالها حسنت لنا ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء
ماذاك الا انها شمس الضحى * أبدا يكون رقيبها الحرباء

(ولبعضهم) هم أيقظوا رقط الأفاعي ونبهوا * عقارب ليل نام عنها حواتها
وقد نقلوا عني الذي لم أفه به * وما آفة الاخبار الا رواتها

﴿باب مدح لا﴾

أحسن ما قيل في مدح لا نثرا قول بعض الحكماء لولم يكن من فضل لا الا انها افتتاح كلمة التوحيد لكان كافيا يعني لا اله الا الله ونظما قول غيره

اجتمع الناس على ذم لا * غيري فاني موجب حق لا
وذا لاني قلت يوما له * تحب غيري سيدي قال لا

(وقال الكندي) قول لا يدفع البلاء وقول نعم يزيل النعم (وقال) سليمان بن عبد الله ابن طاهر

في كل شئ سرف * يكره حتى في الكرم
وربما ألفيت لا * أفضل من ألف نعم

(وكان المهلب) يوصي ابنه عبد الملك ويقول له اياك والسرعة عند مسئلة بنعم فان نعم أولها سهل في مخرجها وآخرها ثقيل في فعلها واعلم أن لا وان قبحت فربما روحت وان كنت في أمر تسئله على قدرة فقيه فأطمع وان عرفت أن لا سبيل اليه فاعتذر عنه وادفع فان من لا يدفع بالعذر نفسه ظلم

﴿باب ذم لا﴾

(وقال

(وقال بعضهم) لعن الله قول لا * خلقت خلقة الجلم

انما تقرض الجميل وتأبى على الكرم

ووصف لا أبو الحرث ليحيى بن خالد البرمكى فقال قبح الله لا كأنه مشجب من حيث أتيته * المشجب عيدان يضم بعضها الى بعض مفتحة الاطراف تعلق عليها الثياب (وقال غيره) على نحو ماتقدم

ياليت لا ما كتبت * فانها تحكى الجلم

(باب مدح اليمين)

(ادعى) رجل على داود بن على الاصبهانى مالا فى مجلس حكم عند اسمعيل بن اسحق القاضى فأنكره وحلف له فقال القاضى يا أبا سليمان أنت مع محلك من العلم تحلف فى مثل هذا المجلس فقال نعمت اليمين الصادقة ثناء على الله وانما فعلت ما أمر الله به ورسوله فقال وما هو فقال أليس الله يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق ويقول سبحانه وتعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن وقال جل ذكره وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم قال القاضى قم بالسلامة فما أرى أحدا يقطعك (وقال ابن الرومى)

وانى لذو حلف حاضر * اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق

فهل من جناح على مسلم * يدافع بالله مالا يطيق

(وكان) أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يقول اذا ابتليت بالسلطان نخرق دينك بالايمان ورقعه بالاستغفار فان الله تعالى يقول لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

(باب ذم اليمين)

(قال) الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المرفوع اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع (ويقال) اليمين حنث ومندمة (ويقال) كلام الجاهل كله حلف وكلام العاقل كله مثل (وقال) بعض السلف دع اليمين لله اجلالا وللناس اجمالا (وقال ابن المعتز) علامة الكذاب مبادرته باليمين لغير مستحلف وقيل لو لم يكن فى اليمين الا أنه يغضب صاحبه ويبغضه الى الناس ولو كان فيه صادقا لكفى

﴿باب مدح شهر رمضان﴾

في الحديث المرفوع اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين (وكان) عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه في شهر رمضان ويقول قد جاءكم الشهر المبارك الذي فيه الليلة التي هي خير من ألف شهر ولله في كل ليلة من ليالي شهر رمضان ستمائة ألف عتيق من النار وله في آخر ليلة من لياليه مثل ما أعتق في جميع الشهر (وقال) بعض الزهاد

ان شهر الصيام مضمار نسك * وسباق الى رضا المعبود
حلبة خيلها الصيام مع النسك * وادخالها جنان الخلود

(وقال آخر) وهو أبدع ما قيل فيه

شهر الصيام مشاكل الحمام * فيه طهور جوامع الآثام
فاطهر به واحذر عثارك انما * شر المصارع مصرع الحمام

(وقال) أبو جعفر محمد بن موسى الرامي

مضى رمضان المرمض الدين فقده * وأقبل شوال يشول به قهرا
فيا لك شهر أشهر الله قدره * لقد شهرت فيه سيوف الهدى شهرا

(وقال الصاحب)

قد تعدوا على الصيام وقالوا * حرم العبث فيه حبس العوائد
كذبوا فالصيام للمرء مهما * كان مستيقظا أتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب * واجتماع بالليل عند المساجد

﴿باب ذم شهر رمضان﴾

كتب أبو علي البصير الى ابن مكرم في شعبان كتبت اليك في آخر يوم من أيام الدنيا باد بار شعبان وأول يوم من أيام الآخرة باقبال شهر رمضان (وقال) بعض المجان شهر رمضان مخشلبة بين درتين يعني شعبان وشوالا (وقال) البحتري

طال هذا الشهر المبارك حتى * قد خشينا بأن يكون لزاما
كم صحيح قد ادعى السقم فيه * وعليل قد ادعى البرساما
ولخير من السلامة عندي * للفتى علة تحل الحراما

(وقال ابن الرومي)

شهر الصيام وان عظمت حرمته * شهر ثقيل بطيء السير والحركه
يمشي رويدا فاما حين يطلبنا * فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثأرا على فرس * أجد في اثر مطلوب على رمكه
شهر كأن وقوعي فيه من قلق * وسوء حالي وقوع الحوت في الشبكه
يا صدق من قال أيام مباركة * ان كان يكنى عن اسم الثقل بالبركه
أذمه غير وقت فيه أحمده * وقت العشاء الى أن تصقع الديكه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له * لكان مولى بخيلا لا سوى الملكه

(وقال أيضا)

اذا تركت في صوم لقوم * دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل * يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهرا * ومر نهاره مر السحاب
فلا أهلا بمانع كل خير * وأهلا بالطعام و بالشراب

(وقال غيره) الغوث من هذا الصيام * قد صار لي مثل اللجام
مالي أمتع بالطعـــــام و بالمدامة والمرام

(ولمؤلف الكتاب)

رمضان أمرضني وأرمض باطني * صادات صد كالطبائع أربعه
صوم وصفراء تجرعني الردى * وصبابة وصدود من قلبي معه

(وقال بشار) قل لشهر الصيام أنحلت جسمي * ان ميقاتنا طلوع الهلال
اجهد الآن كل جهدك فينا * سترى ما يكون في شوال

(باب مدح الوعد)

(حدثني) عون بن محمد قال حدثني أحمد بن سيار قال وعد يزيد بن مزيد رجلا قضاء حاجة فقال له لم تعدني وأنت تقدر على الانجاز فقال تسر الى وقت قضاء الحاجة فان سرور القضاء وقت واحد وسرور الوعد الى وقت الانجاز متصل ولو شاء الله أن يفتح مكة لنبيه عليه الصلاة والسلام لفتحها أول ارادته ولكن أحب أن يتصل سرور المسلمين باتصال انقضاء الوعد وعن أحمد بن يزيد قال حدثني البحتري عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال لي أسرك اليوم بالوعد

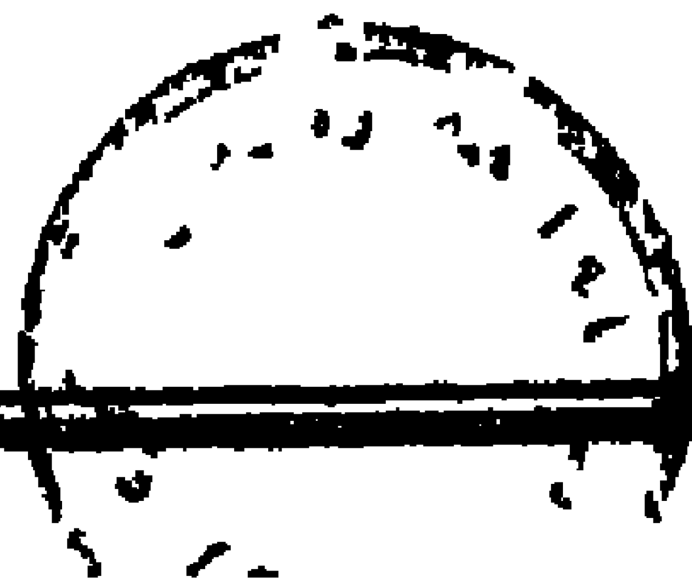
وأحبوك غدا بالانجاز فانى سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار ولو كان المعطى لا يعد لارتفعت مفاخر انجاز الوعد وبطل فضل صدق القول

﴿باب ذم الوعد﴾

(أخبرنا) محمد بن الحسن قال أبو الحسن المدائني حدثت عن الخليل بن أحمد قال بلغني ان طلحة الطلحات قال ما بات لرجل على موعد منذ عقلت وما تململ الموعود في ليلة ليغدو للظفر بحاجته أشد من تململي للخروج اليه من عدته خوف العارض الخلف ان الخلف ليس من اخلاق الكرام (قيل) وكان عمر بن عبد العزيز لا يكاد يوجب على نفسه شيأ توقيا الخلف

﴿قال مؤلفه أبو نصر﴾ لم أجد هذين البابين في الاصل غير أني وجدتهما في النسخة الساقطة التي من أصفهان والله سبحانه وتعالى أعلم

بحمد من زين ذوى الالباب بالآداب والمعارف تم طبع هذا الكتاب المسمى باللطائف والظرائف للعالم العلامه الحبر البحر الفهامه الامام أبي نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي وهو كتاب جمع من فن الآداب طرفا بديعا فهو جدير بان يحتوى على غريب الممادح والمذام مما انقادت له الأبدان ويذعن له اللسان بالفصاحة سميعا مطيعا فهو روضة البلغاء والاتقياء ومرتع الفطناء والاذكياء فلذلك اقتضت المصلحة لطبعه وانقادت همة الاتقان لتحسين وضعه وذلك بالمطبعة العامرة العثمانيه التي محل ادارتها مصر حارة الفراخة بخط باب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها المتوكل على مولاه الخالق الفاضل الكامل حضرة الشيخ عثمان عبد الرازق ولاح بدر التمام وفاح مسك الختام في أوائل شهر شعبان سنة ألف وثلاثمائة وسبعة من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحيه



فهرست كتاب اللطائف والظرائف للاديب أبي نصر المقدسي رحمه الله تعالى

تم الفهرست